بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

سلسلة التربية الإسلامية

(١٢)

من أعلام التربية

مقالات

عبارة عن حلقات إذاعية

إعداد

الدكتور / حسن بن علي الحجاجي

مدير عام

فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

بمنطقة مكة المكرمة

٢ جمادى الثانية ١٤٢٣هـ

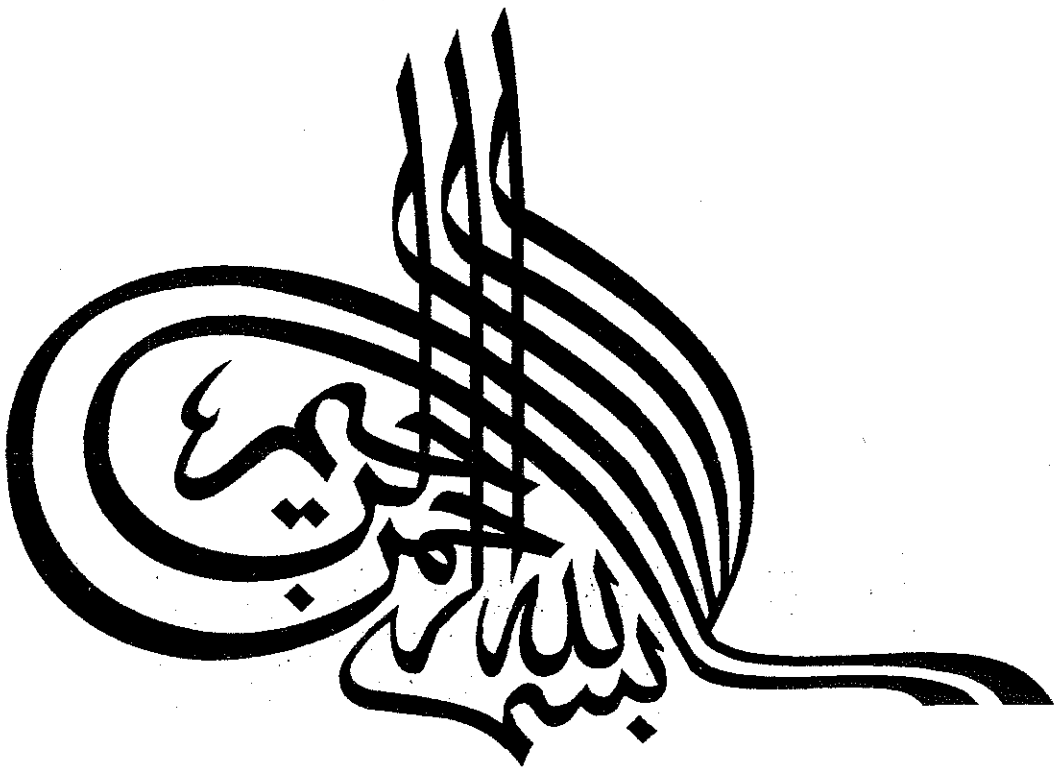
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله أن جعل أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس والصلاة والسلام على رسول الرحمة والهدى معلم البشرية الخير ورسول رب العالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .. أما بعد :

فإن التربية الإسلامية تسعى إلى إيجاد المسلم الصلاح والأسرة المؤمنة والمجتمع المؤمن وهي ربانية المصدرة محددة الغاية والأهداف فالحديث عنها هو حديث عن كل ما جاء به الإسلام في العقائد والأحكام والتشريع والآداب والأخلاق . المبلغ عن ذلك الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام وهو المعلم الأول أنشأ بهذه التربية جيلاً فريداً حملوا مسؤولية الدعوة وتبليغ دين الله للناس جميعاً فكانوا بحق مشاعل هداية ومنارات هدى أعلاماً في التربية ، كان لكل منهم شأن عظيم في التربية يذكر فيشكر ، إن هؤلاء الأعلام أعني أعلام التربية الإسلامية كانوا يعلمون بلسان حالهم قبل لسان مقالهم فهدى الله بهم الناس من الضلال إلى الهدى وأخرج بهم الناس من الظلمات إلى النور .

وإنه لحري أن نتعرف على مواقف من سيرة بعضهم تكون لنا زاداً في مشوارنا التربوي ورحلتنا في طريق الدعوة إلى الله نترسم بذلك خطاهم ونتفهم أساليب دعوتهم وتعليمهم للناس .

فهذه جملة من البرامج الإذاعية التي ألقيت في إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية تحت عنوان " من معين التربية الإسلامية " تتحدث عن سيرة بعض أعلامنا في

التربية وفي مقدمتهم قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين عليه أفضل الصلاة والسلام رأيت من الفائدة جمعها وتبويبها ونشرها للناس تحت هذا العنوان : " من أعلام التربية " سائلاً المولى القدير أن ينفع بها مماليها وكاتبها وقارئها وأسأله أن تكون خالصة لوجهه الكريم خالية من الرياء والسمعة ولم ألتزم فيها بأسس البحث العلمي من التوثيق وغير ذلك .

وفقنا الله جميعاً لما يحب ويرضى وصلى الله على سيدنا محمد .

المؤلف

١- قدوة المربي وإمام الدعاة أجمعين : -

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والسراج المنير رسول رب العالمين محمد بن عبدالله وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين ومن دعا بدعوته واستن بسنته إلى يوم الدين .. أما بعد :

فقد تعهد الرسول المربي عليه الصلاة والسلام أصحابه بالتربية والتوجيه والإرشاد فأوجد منهم أفراداً ارتفعوا بأخلاقهم وسمت بذلك أرواحهم ، فعرفوا رسالتهم في الحياة وعبدوا الله على بصيرة وفهموا معنى العبادة الحقيقي ، فلم يتصرفوا بقلتهم إلى الشعائر التعبدية ويعتزلوا الحياة ، ويتركوا مخالطة الناس والدخول في المجتمع . بل إن البعض عندما أراد الانصراف إلى العبادة واعتزال الحياة والأحياء وسمع بذلك المربي والمعلم صلاة ربي وسلامه عليه أنكر ذلك ولم يقره ، لأنه لا يقر على خطأ ، عن أبي محمد عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أُخبر النبي صلى الله عليه وسلم أني أقول : والله لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ما عشت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنت الذي تقول ذلك ؟ " فقلت له : قد قلته بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قال : " فإنك لا تستطيع ذلك . فصم وافطر . ونم وقم . وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر " ، قلت : فإني أطيق أفضل من ذلك ، قال : " فصم يوماً وافطر يومين " ، قلت : فإني أطيق أفضل من ذلك . قال : " فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود صلى الله عليه وسلم وهو أعدل الصيام " ، وفي رواية " هو أفضل الصيام .

فقلت: فإني أطيق أفضل من ذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا أفضل من ذلك . ولأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى الله من أهلي ومالي "، وفي رواية : " ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ " ، قلت : بلى يا رسول الله . قال: " فلا تفعل . صم وافطر ونم وقم فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينيك عليك حقاً . وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، فإن لك بكل حسنة عشراً أمثالها فإن ذلك صيام الدهر " ، فشددت فشدد علي . قلت : يا رسول الله إني أجد قوة . قال : "صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه" قلت : وما كان صيام داود ؟ . قال : " نصف الدهر " ، فكان عبدالله يقول بعد ما كبر : ياليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي رواية : " ألم أُخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة ؟ " فقلت : بلى يا رسول الله ولم أرد بذلك إلا الخير . قال : " فصم صوم نبي الله داود ، فإنه كان أعبد الناس واقرأ القرآن في كل شهر " قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : " فاقرأه في كل عشرين " قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : " فاقرأه في كل عشر " قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : " فاقرأه في كل أسبوع ولا تزد على ذلك " فشددت فشدد علي . وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : " إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر " قال : فصرت إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله صلى الله عليه وسلم . وفي رواية : " وإن لولدك عليك حقاً ... " وهناك روايات أخر للحديث .

إن هذا الحوار بين المربي الأعظم عليه الصلاة والسلام وأحد طلابه يمدنا بتوجيهات تربوية هامة ، وينطوي على دلالات تربوية عظيمة ، وفي مقدمتها حرص الصحابة على

الاستزادة من أنواع القرب والطاعات ، وما نشأ هذا الحرص إلا نتيجة للتربية النبوية التي أوضحت لهم أن طاعة الله هي سر السعادة في الدارين وأن الله ما خلقهم إلا لهذا (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ، وهذه التربية بينت لهم أن العبد يداوم على العبادة حتى يوافيه الأجل . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم من الخطأ والذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه يوجهه ربه أيضاً . وفي مدرسة النبوة عرف الصحابة مفهوم العبادة وأنها ليست الشعائر التعبدية فقط بل كل حياة المسلم هي عبادة لله إذا أخلص فيها النية له سبحانه ، قال تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وعرفوا من معلمهم أن الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . ومقتضى هذا أن لا يسلك العبد ما يخالف أمر ربه ، ولا يهمل في طاعته لأن عينه تراه ولا يخفى عليه شيء في من أمره .

ومن الدلالات التربوية في هذا الحوار أن على المعلم والمربي توجيه طلابه إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم ولا يتركهم لاجتهاداتهم التي قد ينقصها في كثير من الأحيان التوجيه السليم والفهم السديد فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما علم بما قاله عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لم يقره بل وجهه إلى العبادة الصحيحة التي يرضاها الله تعالى ويتقبلها وحذره من جهاد النفس وإتعابها لأنها قد تنصرف عن العبادة وتتركها إذا أعياها التعب وإجهاد العمل فتنقطع عنها فالاقتصاد في العبادة أمر مطلوب فخير العمل إلى الله أدومه وإن قل ، قال صلى الله عليه وسلم : " عليكم من العمل ما تطيقون فوالله لن يمل الله حتى تملوا " ، وقال : " إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق " ، وقال : " المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .. " ، فعلى الذين يريدون أن ينصرفوا عن الحياة والأحياء أن

يعو هذا الدرس وليعلموا أن المسلم مطلوب منه أن يعبد الله عز وجل وبجانب هذا عليه أن يؤدي الحقوق التي أوجبها الله عليه ، فالبدن له حق لا يصح التهاون أو التفريط فيه ، والزوجة لها حق لابد من إيضاحه ، والأولاد لهم حقوق لا يصح التفريط فيها وهي حقوق الرعاية والتربية والتوجيه ، والزور لهم حقوق الضيافة وحسن الاستقبال لا يصح التهاون في حقوقهم ، فالتربية الإسلامية توازن بين أداء كل هذه الحقوق وتحث على أدائها دون إفراط ولا تفريط ، ومن هذه الدلالات المستفادة من هذا الحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن المعلم الماهر الذي يريد أن يكون توجيهه مفيداً يستفسر عن الأوضاع غير السليمة والمعاني الخاطئة بسؤال من يريد توجيهه فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عبدالله فيقول : " ألم أُخبر أنك تقول كذا ... " فالسؤال إذا وجه الوجهة التربوية السليمة أثمر ثمار هامة في تقرير ما هو خطأ وإثبات ما هو صواب ، والسؤال هو مفتاح العلم سواء من قبل المعلم أو المتعلم ، ولقد سئل بعض علماء السلف : بم حزت هذا العلم ؟ ، قال : بقلب صبور ولسان سؤل . فالسؤال بالنسبة للمعلم هام وضروري لتقرير الحقائق واكتشاف المواهب ومعرفة القدرات ، فالسؤال يفتح مغاريب الأبواب ويوضح طرق العلم والمعرفة .

ومن الدلالات المستوحاة من الحديث أن فيه معلم من معالم النبوة حيث أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا الصحابي قد يطول به العمر فقال : " إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر " ، وبالفعل قد طال عمره رضي الله عنه وتمنى أنه قبل رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن النفس البشرية تضعف أحياناً عن العمل وتتكاسل أحياناً أخرى لذا فمن الحكمة التربوية ترويضها على العمل الذي تستطيع المداومة عليه . وليس من الحكمة تكليفها بعمل صعب وشاق يدعوها إلى العزوف عنه والبعد عن مزاولته يوماً ما .

فما أعظم مدرسة النبوة التي أخرجت للبشرية نماذج فريدة وسلوكها وعقيدتها تصورها وتوجيهاتها .

فالحمد لله أن هدانا للإسلام الذي هو وسط في جميع التكاليف لا إفراط ولا تفريط وأمة الإسلام أمة وسط ، قال تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) .

والصلاة والسلام على المربي الأعظم والنبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين .

٢- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على المربي الأعظم رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

من أهم الصفات في شخصية الرسول المربي عليه أفضل الصلاة والسلام والتي يحتاجها كل مرب يحرص على تحصيل النجاح في أداء رسالته التربوية . إن من الناس أفراداً ذوو نفوس طيبة وقلوب رحيمة وصدور رحبة ، يصفحون ويتجاوزون عمن أساء إليهم ويلتمسون الأعذار لشطط من قصر في حقوقهم هؤلاء لهم شخصياتهم المتوازنة .. يجدون في الصفح متعة . ويشعرون بالسماح والعفو راحة نفسية .. لا يحبون الانتقام أو التأثر إذ لا يحملون في أنفسهم غلاً ولا حقداً ولا ضغينة هم كما يقال كالشجرة المثمرة يرميها بعض الناس بالعصي والحجارة وهي لا تملك إلا أن ترميهم بالزهور أو الثمار .

دعونا نعيش قليلاً في أحد المواقف التربوية النفسية الرائعة والتي نجدها ماثلة في حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لتكون مثلاً أعلى لكل مرب ومدرس أو مدير أو مشرف أو موجه .

ذلك أعرابي عاش في البادية وقد أتى أول مرة إلى الحاضرة إلى المدينة المنورة ، فيفد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب شيئاً من الصدقة ، فيعطيه النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ما كان لديه حاضراً ثم يسأل الأعرابي هل قنع بما أعطي : " أأحسنت إليك " ، قال الأعرابي منكراً بقسوة : لا . ولا أجملت . إنه إنكار وعدم قناعة ... سمع ذلك من كان حاضراً من الصحابة فغضبوا من هذا الرد السيئ يقابل به الرسول

الكريم عليه الصلاة والسلام ، ولكنه أشار إليهم أن كفواً عنه .. وحيث لم يكن لديه صلى الله عليه وسلم زيادة فقد قام ودخل منزله وأتى بما ينعم به على الأعرابي ، ثم أرسل إلى الأعرابي وزاده ... وهنا يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم مبلغ رضاه وهل قد قنع الآن . " أأحسنت إليك " ؟ قال الأعرابي عندئذ بتلقائية .. نعم أحسنت وأجملت .. وجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . إنه أعرابي بمثل صفاء البادية وتلقائيتها ، كل ما فيها ظاهر وصريح وقاس ومباشر . ولكنه الرسول المربي صلوات ربي وسلامه عليه وهو معلم هذه النفسية البدوية الصافية عاملها بما يلائمها . وإلى هنا والحادثة لم تنته . إذا قال عليه الصلاة والسلام للأعرابي بعد أن رضي : " إنك قلت ما قلت ، من عدم رضائك أولاً ، وفي نفس أصحابي عندما سمعوك من ذلك شيء عنك ، فإن أحببت – ولننظر إلى هذا الرجاء المؤدب – فإن أحببت – فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك " إنه علاج تربوي نفسي لجانبين معاً في آن واحد . علاج للأعرابي ليصلح ما بدر منه أولاً ، وعلاج لنفوس الصحابة فيرضون عن ذلك الأعرابي . ويجيب الأعرابي بكل صفاء نعم . فلما كان العشي وتجمع الصحابة رضي الله عنهم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " إن هذا الأعرابي قد قال ما قال .. ثم زدناه ، فزعم أنه قد رضي . أكذلك ؟ قال الأعرابي : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .

والختام التربوي الهام للحادثة كان تحليلاً لنفسية الأفراد ، ولاسيما في عمليتي التربية والإمارة إذا ا ، حسن المعاملة ورد الإساءة بالإحسان يضفي حسن السلوك إن عاجلاً أم آجلاً ، ويضفي السعادة النفسية فوراً ، وفي ختام هذه الحادثة مثل توضيحي لتلك العلاقات الإنسانية النفسية إذ يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : " مثلي ومثل

هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس ليقضوا عليها فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فماذا يعمل صاحبها الحريص عليها ، والذي يريدها بسلام ؟ فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه إليه بين يديها وأخذ لها من قمام الأرض من أعشابها فردها هادئة وجاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها .. " ، إنها السياسة التربوية والحكمة التي تضمن عملية التوجيه والإصلاح ولكن بأقل قدر من المتاعب والآلام والمنافرات إذا كان لابد من ذلك . لذلك فقد اختتم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام هذه الحادثة بقوله : " وإني لو تركتكم حيث قال الرجل – في جوابه القاسي – فقتلتموه دخل النار .. " ذلك إن التربية الناجحة هي قبل كل شيء عملية إصلاح وتقويم وحياة في سعادة ومحبة ورضاء .

إصلاح لما فسد من الأخلاق وتقويم لما اعوج وإحياء للقلوب والأرواح والأبدان وإحياء لروح الأخوة في المجتمع المؤمن ليعيش الأفراد فيه في سعادة لا يكدرها شقاء ومحبة لا تفسدها بغضاء ورضاء ليس بعده سخط ، ألا ما أعظم هذا الدرس التربوي الذي اقتبسناه من مشكاة النبوة ومن مدرسة الإيمان التي نهل منها وتربى فيها الرعيل الأول من المسلمين ، فأصبحوا بعد ذلك دعاة خير وإصلاح ، لأن التربية أخذ وعطاء ، فما أخذوه وتلقوه من معلمهم ومربيهم عليه أفضل الصلاة والسلام نقلوه إلى غيرهم وربوا الناس على كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

هل نعى هذا الدرس ونستفيد منه في تربيتنا المعاصرة فنرحم الجاهل وتشفق على السفيه ، ونسعى لإشاعة المحبة والخير والأخوة والصفاء في مجتمعنا بحسن تربيتنا وتوجيهنا لمن تحت أيدينا أرجو أن يتحقق ذلك والله الموفق .

٣- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين عليه الصلاة والسلام :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فالرسول عليه الصلاة والسلام كان حرصه شديد على تعليم أصحابه ما ينفعهم في أمور الدين والدنيا وكان نصحه وتوجيهه بغرض إسعادهم وإرشادهم إلى طريق الهداية ليحققوا الغاية التي من أجلها خلقوا وهي عبادة الله وحده دون سواه (وما أمروا إلا ليعبدوا الله) ، لذا فقد أوضح لهم ثواب من جلس بعد الصلاة يذكر الله ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة " قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تامة ، تامة ، تامة " رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن . ففي هذا الحديث حث على الذكر والدعاء بعد صلاة الفجر بل إن صلاة الفجر في جماعة ينبغي المحافظة عليها ، لأن من صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله ، وفي هذا فضل عظيم كما أنه يكون في ذمة الله وفي حفظه ، والملائكة تدعو للمؤمن وتستغفر له طالما أنه في مصلاه ما لم ينصرف ، ثم يستمر في الذكر والدعاء حتى يحين وقت صلاة الضحى فيصلي ركعتين فيكون بذلك قد حاز على أجر حجة وعمرة ، وخرج أحمد وأبو داود من حديث سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً ، غفر له خطاياه ولو كانت أكثر من زبد البحر " ، فلنلحظ في هذا الحديث حث على الجلوس بعد صلاة الفجر بغرض الذكر والدعاء ولاستزادة من

الخير ، وقوله حتى يسبحا ركعتي الضحى أي يصلي ركعتي الضحى وثواب ذلك مغفرة خطاياه ولو كانت أكثر من زبد البحر ، وخرج أبو يعلى بإسناده عن عمرة قالت : سمعت أم المؤمنين تعني عائشة رضي الله عنها تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من صلى الفجر أو قال : الغداة وقعد ولم يلغو بشيء من أمر الدنيا ويذكر الله حتى يصلي الضحى أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه لا ذنب له " ، ففي هذا الحديث أيضاً بيان لأجر من مكث في مصلاه لكن بشرط ألا يتحدث بشيء من أمور الدنيا ويملأ وقته بذكر الله والدعاء ثم يختم العمل الصالح بأن يصلي الضحى أربع ركعات فإنه يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فما أعظم هذا الأجر وما أعظم فضل الله على عبده يقبل منه القليل من العمل ويثيب عليه الأجر العظيم ، وخرج البيهقي في الشعب بإسناده عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من صلى الغداة ثم ذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين أو أربع ركعات لم تمس جلده النار " ، وهذا الحديث فيه بيان أن هذا العمل الصالح سبب في حفظ العبد من دخول النار .

ولقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه بفعله وقوله وسنته العملية والقولية ، فروى الطبراني بإسناد حسن حديث بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا صلى الفجر لم يقم من مجلسه حتى تملنه الصلاة " وقال : "من صلى الصبح ثم جلس في مجلسه حتى تمكنه الصلاة ، كان بمنزلة حجة وعمرة متقبلتين " ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا دل أصحابه على فعل الخير يبادر هو إلى عمله ليكون لهم قدوة في السلوك والعمل ، بأبي هو وأمي ، قال تعالى : (لقد كان

لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) ، وهكذا المربي ينبغي أن يعلم ويربي بسلوكه وعمله ويكون قدوة صالحة لمن يشرف على تربيتهم ، لأن التوجيه والتعليم بالقول فقط والكلام المجرد ، لا يحقق فائدة لذا فالتعليم بلسان الحال أقوى وأبلغ من التعليم بلسان المقال ، ولقد استفاد الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح من هذه التربية النبوية فكانوا يترسمون هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبادته ومعاملته ، يبتغون بذلك الأجر والمثوبة من الله ، وكان بعضهم ينصح بعضاً ويرشد بعضهم بعضاً إلى ما فيه الخير والصلاح .

خرج الترمذي بإسناده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً قبل نجد أي أرسل غزوة تجاه نجد فغنموا غنائم كثيرة وأسرعوا الرجعة ، فقال رجل منها ، لم يخرج : ما رأينا أسرع رجعة ولا أفضل غنيمة من هذا البعث . إنه يشيد بعمل هؤلاء الغزاة وبفضل الله عليهم ونصره لهم ، من باب الغبطة والإعجاب لعملهم ، فعندما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال دله إلى عمل أفضل من عملهم هذا فقال عليه الصلاة والسلام : " ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة ؟ قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس أولئك أسرع رجعة وأفضل غنيمة " .

ولقد أفاد من هذا التوجيه السلف الصالح فهذا ابن القيم رحمه الله كان يجلس بعد صلاة الفجر قرب الكعبة المشرفة زمن مجاورته بمكة يذكر الله حتى تطلع الشمس ويقول : هذه غدوتي لو تركتها صدقت قواي . نعم إنه الزاد الإيماني الذي تقوى به الأرواح والأبدان بخلاف زاد البدن الذي يقتصر في تقويته على البدن . قال تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) ، اللهم إنا نسألك التوفيق والسداد اللهم أعنا

على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم اجعلنا من عبادك المتقين وحزبك المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

٤- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين عليه الصلاة والسلام :-

الحمد لله رب العالمين خلق فسوى وقدر فهدى خلق الإنسان علمه البيان ، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً وأصلي وأسلم على معلم البشرية وهادي الناس إلى صراط مستقيم رسول رب العالمين محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

أما بعد فقد قال الله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) ، في هذه الآية الكريمة أمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزله عليه من الوحي والتبليغ يشمل الإعلان بالدعوة وتعليم الكتاب للناس ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من فوره بإعلام من معه من الصحابة ما نزل عليه ولا يتحراني في ذلك ، بل يسارع عليه الصلاة والسلام بتبليغ الوحي وتعليم الكتاب ولقد كان من منهجه صلى الله عليه وسلم في تعليمه هذا القرآن أنه كان لا يتجاوز العشر من الآيات حتى تفهم منه ثم يحمل أصحابه على العمل . فهو بهذا يُعلم ويربي في آن واحد . ولقد ذكر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم فقال : كنا لا نجاوز العشر من الآيات حتى نعرف معناها ونعمل بمقتضاها. فتعلم كتاب الله هو العلم النافع ويبينه الوحي الثاني المتمثل في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع العلوم هي آلات ووسائل معينة لفهم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتعلم الكتاب السنة وهو العلم النافع ولا سعادة ولا فلاح غلا في هذا العلم إذا اقترن به عمل صالح . وأمة الإسلام صاحبة رسالة تتمثل رسالتها في حمل هذا الخير وتبليغه للناس بعد أن نتمثله عقيدة في النفس وواقعاً في السلوك فتعلم الناس بلسان

الحال والمقال . إن فعلت ذلك استحقت وصف الله لها : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ، أما إن قصرت فلا تضر إلا نفسها والله غني عن العالمين ، قال تعالى : (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) ، ومن منطلق هذه المسؤولية فإنه يترتب على الأمة العناية بكتاب الله عز وجل قراءة وكتابة وفهماً وتطبيقاً وتعلماً وتعليماً .

روى البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " ، فإذا كانت أمة الإسلام هي خير الأمم فهناك صفوة منها هي التي تشرف على تعليم كتاب الله عز وجل بعد تعلمه فالأمر تعلم وتعليم وهذا هو مبدأ التربية الإسلامية أخذ وعطاء وتعلم وتعليم وبناء فأي شرف هذا وأي مكانة لمن يعلم كتاب الله عز وجل فهنيئاً لكم أيها المعلمون والمعلمات حيث تتعلمون كتاب الله وتعلمونه للناشئة من شباب الأمة ، إنكم تقومون بأقدس رسالة وأعظم مسؤولية على إرث من إرث النبوة ورسالتكم هي رسالة الأنبياء من قبل الذين كانوا يتعلمون الناس ويربونهم على دين الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم : " إنما بعثت معلماً ، فعليكم أن تتأسوا بهديه في تعليمه للناس فقد كان صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات الحلم والصبر والتحمل وهو يبلغ هذا الدين ويعلم كتاب رب العالمين . فحري بكم أن تتخلقوا بأخلاقه وتتأدبوا بأدبه . فالتعليم بحاجة إلى رحابة صدر وسعة بال وطول نفس . فالجاهل بحاجة إلى التعليم وبحاجة إلى صبر معلمه والله عز وجل جعل القدرات بين البشر متفاوتة والإمكانيات متفاوتة . وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفوارق بين الناس . فهناك الماهر بالقرآن وهناك من يتعتع فيه أثناء القراءة ويعالج لسانه بسلامة نطقه

ولكن بجد بذلك مشقة وعنتاً ، روى مسلم في صحيحه عن سعيد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران " ، أي أجر المشقة وأجر القراءة أما الأول . فهو مع الملائكة لمهارته بالقرآن أرأيتم كيف أن الأجر قد ناله الماهر بالقرآن وغير الماهر به لكن بعد إخلاص النية لله . وطلب المثوبة منه . فبهذه النية يتحقق الأجر وتنال المثوبة فقد قال صلى الله عليه وسلم : " اقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة " ، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم إن : " الذي يقرأ القرآن له بكل حرف عشر حسنات فلا ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف " . أرأيتم عظم هذا الأجر إذا أخلصنا النية في القراءة . فكم من الحسنات والأجر العظيم ينال قارئ القرآن . فعلى مدرس التربية الإسلامية ومدرسات التربية الإسلامية أن يستشعروا هذا الفضل وهذه المثوبة ويؤدوا رسالة التربية والتعليم بروح المسلم وبالإخلاص والتفاني حتى تكون أعمالهم مثمرة وأقوالهم مسددة وتأثيرهم واضح وتفاعلهم بناء ، فإذا كان كل مسلم على ثغرة من ثغور الإسلام . فأخطر ثغرة هي ثغرة التربية والتعليم هي رسالة معلم التربية الإسلامية حيث يشرف على تعليم كتاب الله وما يتعلق به من علوم أخرى فحري بهذا المعلم أن يجعل جو الدرس جواً روحانياً يستحضر النية الصالحة قبل درسه ويهيئ نفوس طلابه لذلك حتى يكون مجلسهم مجلس علم وسكينة تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله فيمن عنده .

روى مسلم في صحيحه عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة أو سحابة غشيتهم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " اقرأ فلان فإنها السكينة تنزل عند القرآن " وفي رواية : " تنزل للقرآن " .

أرأيت أخي المعلم هذا الفضل العظيم فلا تحرم نفسك منه وأخلص النية له ودرس كتاب الله بهذه الروح الإيمانية .. وفقنا الله لما يحب ويرضى وجعلنا هداة مهتدين .

٥- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله منزل الكتاب علم الإنسان ما لم يعلم أحمده وأشكره وأثني عليه الخير كله أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس أنزل علينا القرآن وبعث فينا سيد الأنام ووهبنا وسائل كسب العلم والمعرفة وأحاطنا بنعمة في الظاهر والباطن (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وأصلي وأسلم على الهادي البشير والسراج المنير بلغ الرسالة وأدى الأمانة وبلغ ما أنزل إليه من ربه (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته)، جعله الله قدوة لأمته (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وجعل محبته متعلقة بأتباعه والسير على نهجه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد .

فأول مدرسة أنشئت في الإسلام هي مدرسة دار الأرقم بن أبي الأرقم تحت قيادة وتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا في مكة المكرمة وفي بداية دعوته صلى الله عليه وسلم أما بعد هجرته فقد كان المسجد هو منطلق الدعوة وحقل التربية والتعليم ومقر استقبال الوفود وعقد ألوية السرايا والبعوث فكان في هذا وذاك القدوة والمثل هو شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بلسان قوله وفعله .

فالداعية إلى الله يحتاج إلى أخلاق أساسية وفي طريقه إلى الدعوة وممارسته لمهامها ، لقد كانت هذه الصفات هي أكمل ما يكون في شخصية رسول الله جعلته أهلاً للقدوة والأسوة لمن رام النجاح في سبيل الدعوة ، فقد كان عليه الصلاة والسلام في أعلى درجات

الإخلاص والصبر والبذل والتضحية ووضوح البيان وشمول الدعوة وكان أيضاً في كل كما خلقي يوجب نجاح دعوته ، والشواهد على ذلك كثيرة سنذكر بعضاً منها حسب ما يتسع له الوقت فمن شواهد إخلاصه في دعوته قول الله تبارك وتعالى على لسانه وهو يخاطب قومه : (قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكر للعالمين) ، وقوله : (قل ما أسألكم عليه من أجر) ، وقوله تعالى : (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ولتعلمن نبأه بعد حين) ، فقد قرر الله تعالى هذا المبدأ فيه حيث قال متحدثاً عنه ومنكراً على عدم إيمان قومه بدعوته : (أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون) ، والمعنى أنك يا محمد لا تسألهم على ما تدعوهم أجراً من مال ونحوه بحيث يثقل عليهم أداؤه فيمتنعون عن الإيمان بالله والتصديق به من أجله ، بل إنما تبتغي أجرك من الله تعالى ، فهذا تقرير من الله عز وجل لإخلاص نبيه صلى الله عليه وسلم وتأييده له .

ومن دلائل إخلاصه عليه الصلاة والسلام حرصه الشديد على إيمان الناس حتى قال الله تعالى له : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ، وقال تعالى له : (لست عليهم بمصيطر) ، وقال تعالى : (إن عليك إلا البلاغ) .. ومن هذه الدلائل كذلك رفضه لتلك العروض التي عرضوها قومه عليه صلى الله عليه وسلم . لقد جاء عتبة بن ربيعة وهو سيد قومه فقال له : يا ابن أخي إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جمعهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال له رسول الله : " قل يا أبا الوليد أسمع " . قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ،

وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب حتى نبرئك منه . حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه ، قال : " لقد فرغت يا أبا الوليد ؟ " . قال : نعم . قال : " فاسمع مني " ، قال : أفعل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم " إلى أن انتهى إلى السجدة منها أي سورة فصلت، فسجد ثم قال: " قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك " فانظر كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم رفض كل عرض دنيوي ليكف عن دعوته وما ذلك إلا لإخلاصه لله تعالى في تبليغ دعوته للناس .

ولقد كان في جملة ما عرض عليه : إن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا فما كان من المناسب موافقته صلى الله عليه وسلم على هذا العرض لينطلق منه إلى تبليغ دعوته ، فلم لم يوافق ؟ .. إن هذا ليس هو طريق تبليغ رسالات المرسلين إن الطريق التي رسمها الله لتبليغ دعوته هو طريق التربية على هذا الدين وعرضه على الناس أجمعين في كل وقت وحين وفي كل مكان بوضوح وشمول من أجل هذا لم يختر رسول الله هذا النوع من العرض منطلقاً للدعوة .

ومما يؤكد إخلاصه في دعوته لعمه أبي طالب : عندما جاءته قريش تريده أن يثنيه عن دعوته وتوعدته بأنه إن لم يفعل تنصب له العداء وتشعل له الحرب قال له أبو طالب : يا ابن أخي ، ابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق . فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدى لعمه أنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال صلى الله عليه وسلم : " يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على

أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه " ، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام فلما ولى ناداه أبو طالب : أقبل يا ابن أخي . فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب يا ابن أخي وقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

فهذه المواقف وغيرها تدل على مدى إخلاص النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله وهو سيد الدعاة فما أحوج الدعوة إلى الله اليوم إلى نموذج من الدعاة يتعاملون مع الدعوة على أنها رسالة سامية ومسؤولية عظيمة ويحققوا الإخلاص في أقوالهم وأعمالهم قدوتهم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والحمد لله رب العالمين .

٦- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين صلى الله عليه وسلم :-

الحمد لله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير .. أما بعد :

لقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على تعليم أصحابه ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وكانت وصاياه تمتاز بالشمولية والعموم فهو يوصي أحد أصحابه بوصية تستفيد منها الأجيال المتلاحقة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الوصايا وصيته لعمه العباس رضي الله عنه روى ذلك العباس بن عبد المطلب فقال رضي الله عنه : قلت : يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله تعالى . قال لي : " يا عباس . يا عم رسول الله . سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة " أخرجه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح .

في هذا الحديث جملة فوائد تربوية ومن أهمها حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التعلم وسؤال ما هم بحاجته إلى تعليمه من أمور الدين والدنيا وما كان يثنيهم عن السؤال شيء ولا يشغلهم عن التعليم شاغل فينبغي للمسلم أن يحرص على التعلم والتعليم ولا يخرج من السؤال وليحذر الكبر ، لأن التعلم نور ينير له الطريق فيعرف ما هو نافع وما هو ضار والسؤال هو مفتاح التعلم (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، كما تستفيد من هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوجه أصحابه ويعلمهم ما هم محتاجون بعد أن يعرف حالة كل منهم ، وقدراته الفعلية وحالته النفسية يأتيه رجل ويطلبه النصيحة فيقول له : " لا تغضب " فيأتيه آخر بطلبه النصيحة فيقول له : " قل آمنت بالله ثم استقم " ، ثم يأتيه العباس فيطلب منه أن يعلمه فيقول له : " اسأل الله العافية " ،

نستفيد من ذلك أن المربي المسلم وهو ينصح الناس ويوجههم ويرشدهم يتعرف على واقعهم وحالهم وما هم محتاجون إليه في مجال النصح والإرشاد وما هو في حدود مقدرتهم الفعلية واستيعابهم " خاطبوا الناس على قدر عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله " فالمدرس حين دخول الفصل أمامه جمع من الطلاب متفاوتون تفاوتاً كبيراً في قدراتهم العقلية واحتياجاتهم النفسية فإن كان ماهراً يلحظ هذا فيكون تعلمهم إياه مبنياً على الفروق الفردية بينهم .

ومن الفوائد التربوية في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتاه الله جوامع الكلم . فوصية كاملة عامة شاملة تشمل أمور الدنيا والدين في أوجز عبارة : " فاسألوا الله العافية " وبالنظر الثاقب في هذه الوصية نجد أن هذه الكلمة قد اشتملت على فوائد جمة . فالعافية في البدن والصحة النفسية الناس في أمس الحاجة إليها والسلامة من الآثام والذنوب والمعاصي تحقق السعادة للمسلم الذي يهديه الله ويوفقه لفعل الطاعات واجتناب المحرمات والعافية والسلامة في الأهل والأولاد أمر يحرص عليه المسلم ويطلبه من الله عز وجل . من أصبح معافىً في جسمه آمناً في سربه واجداً قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها . وفعل الطاعات يحقق الأمن النفسي وطمأنينة القلب وكل ذلك داخل في العفو والعافية إذا كان هذا في الدنيا فالعفو في الآخرة والعافية فيها بتجاوز الله بالعبد وستره عليه وإدخاله في رحمته ورضوانه وجناته .

من هذا يتضح أن تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه هذا الدعاء سيحقق له سعادة الدارين . وهكذا المسلم ينبغي أن يحب الخير لغيره ويرشده إلى ما ينفعه في عاجله وآجله وعندما سألت أم المؤمنين عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الذي

تدعو به إن أدركتها ليلة القدر قال : " قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني " ، فالمسلم بحاجة إلى عفو ربه لأن من طبيعته النقص والقصور والخطأ والنسيان كما أن فضل الله عليه عظيماً ونعمه عليه لا تعد ولا تحصى فهو بحاجة أمام ذلك أن يسأل الله العفو من التقصير والخطأ والخطل ويسأله العافية والسلامة من الإثم والعدوان والعافية في البدن والنفس ، لذلك فقد ورد من الأدعية المأثورة التي كان يداوم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرها حال قيامه ومن مجالسه ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات: " اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبداً أبقيتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا واجعل الجنة هي دارنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا " أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن .

إن الأدعية والأذكار ترد في جانب مهم من جوانب التربية الإسلامية ألا وهو الجانب الإيماني في الحالة البنائية ، لأنك أخي المسلم بقدر ما تكثر من ذكر الله تشعر براحة النفس وطمأنينة الضمير فالله عز وجل يقول : (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يزال لسانك رطباً بذكر الله " .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين .

٧- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين صلى الله عليه وسلم :-

الحمد لله نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وآل بيته الطيبين الطاهرين .. أما بعد :

فقد خاض المسلمون بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم معارك فاصلة كان هدفهم رفع راية الإسلام وتمكين دين الله في الأرض ودحر الوثنية والقضاء على الشرك ليكون الدين كله لله من أجل ذلك جهز رسول الله السرايا وبعث الوفود وقاد الغزوات يجاهد في مقدمة المجاهدين ويقاتل مع المقاتلين ليعطي القدوة من نفسه والأسوة الحسنة في التضحية والفداء في سبيل هذا الدين مع قلة في العدد وضعف في العدة وبعد الشقة في السفر فانتصروا لأن الله يكلأهم برعايته ويحوطهم بعنايته ويحفظهم بحفظه (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ، من معارك الإسلام الفاصلة غزوة بدر الكبرى التي سجلها التاريخ بأسطر من نور وكان سبب الخروج لهذه الغزوة أن هناك قافلة ضخمة لقريش مفصلة من الشام إلى مكة تحمل لأهلها الثروة الطائلة ما يقارب ألف بعير تحمل الأموال وأصناف من التجارة ويقودها أبو سفيان بن حرب مع رجال من قريش لا يزيدون عن ثلاثين أو أربعين . فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه اعتراض القافلة والاستيلاء عليها عوض ما فقدوه في مكة من خسائر عند هجرتهم إلى المدينة ، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها " .

لم يعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على أحد بالخروج ولم يستحث المتخلف بل ترك الأمر للرغبة المطلقة ثم سار بهم حتى جمع الله بينهم وبين أعدائهم على غير ميعاد .

أما أبو سفيان قائد القافلة فاستطاع أن ينجو بقافلته بعد أن حول اتجاه السير إلى البحر وبعث ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستصرخ أهلها حتى يسارعوا إلى استنقاذ أموالهم واستطاع هذا الرجل أن يزعج مكة قاطبة فقد وقف على بعيره بعد أن جدع أنفه وحول رحله وشق قميصه يصيح يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان عرض لها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث فتجهز الناس جميعاً فهمك إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً وانطلق سواد مكة وهو يغلي يمتطي الصعب والذلول فكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنون بهجاء المسلمين .

وولوا وجوههم إلى الشام ليدركوا القافلة ، أما المسلمون فقد قطعوا المسافة من المدينة على بدر والتي تربوا عن مائة وستين كيلومتراً لم يكن معهم غير سبعين بعيراً يعتقبونها . روى أحمد في المسند أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير أي يتعاقبون وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فكانت عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له نحن نمشي عنك – ليظل راكباً – فقال : " ما أنتما بأقوى مني على المشي ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما " .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنك بذلك تعطي القدوة العملية في التضحية والبذل والعدل والمساواة والتحمل والصبر لأنك صاحب الرسالة العظيمة والمنهج السديد في الدعوة

لقد كنت بحق تجاهد في مقدمة المجاهدين تنزل مع أصحابك في الميدان فترفع معنوياتهم بذلك لا تميز بنفسك عنهم ولا تضن بالنفس والروح في سبيل الغاية التي خرجت من أجلها فعلى الذين يريدون أن يكونوا قدوة للآخرين أن يسلكوا مسلكه وينهجوا نهجه ويهتدوا بسيرته صلاة ربي وسلامه عليه لقد التقى الجمعان على غير ميعاد على أرض المعركة التي أرادها الله لحكمة إلهية جهلها الكثير (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي كان مفعولاً) ، لقد حصلت المواجهة وأصبح المسلمون وجهاً لوجه مع قوة ضاربة تفوقهم عدة وعدداً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقبل على الناس هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها فنظر الرسول صلى الله عليه وسلم حوله فوجد أولئك المؤمنين بين مهاجر باع في سبيل الله نفسه وماله ، وأنصاري ربط مصيره وحاضره بهذا الدين الذي افتداه وأوى أصحابه استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له ثم قال : " أشيروا علي أيها الناس " وإنما يريد الأنصار ، فلما قال ذلك قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله . قال : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن

تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله .

إنها الحنكة العسكرية في هذا الموقف الرائع لقد استطلع القائد العام الروح المعنوية لجنده لقد كانت في الذروة وبهذه الروح انتصر المسلمون ومن الله لدينه في الأرض .

٨- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين الذي كان في الذروة من الأخلاق الإسلامية كان عليه الصلاة والسلام أجود الناس وأشجع الناس وأصدق الناس أدبه ربه فأحسن تأديبه وجبله على الشيم الرفيعة والأخلاق الفاضلة كان خلقه القرآن ووصف من رب الأنام بقوله : " وإنك لعلى خلق عظيم " صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين والتابعين بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد :

فلا زلنا ننهل من معين التربية الإسلامية التي رسخ قواعدها وأسس بنيانها معلم البشرية المربي العظيم والنبي الكريم رسخ مبادئها بأقواله وأفعاله وتقريره عليه الصلاة والسلام ففي دراسة سيرته والتأمل في حياته يظهر هدي هذا الدين في تطبيق عملي فريد وسلوك إنساني قويم فكان عليه الصلاة والسلام أكرم الناس على الإطلاق وكان في أعلى درجات الإيثار كان يشعر بمشاعر أصحابه ويتلمس مشكلاته ويعالج قضاياهم ويرفق بهم ، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسيرون على هديه ويسألونه عما أشكل عليهم من شيمه وأخلاقه ، وكان التابعون رضوان الله عليهم يسألون أصحابه رضي الله عنهم عما أشكل عليهم من أمر الدين وهدي سيد المرسلين فهذا ثابت البناني سأل أنس بن مالك الذي خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وهو من أعلم الناس بسيرته يسأله عن أعجب شيء رآه واستفاد من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ثابت البناني : قلت لأنس بن مالك : أخبرني بأعجب شيء رأيته . قال : نعم يا ثابت

خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يعير علي في شيء أسأت فيه ، فأعجب شيء رأيت منه ما هو ؟ قال : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش قالت لي أمي : يا أنس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح عروساً ولا أرى أصبح له غداء فهلم تلك العكة وتمراً قدر مد فجعلت له حيساً . فقالت : يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرأته . فلما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بثور من حجارة فيه ذلك الحيس قال : ضعه في ناحية البيت أو اذهب فادع لي أبا بكر ومر وعثمان وعلياً ونفراً من أصحابه ثم ادع لي أهل المسجد ومن رأيت في طريقك وكثرة من يأمرني أن أدعو من الناس فكرهت أن أعصيه فدعوتهم حتى امتلأ البيت والحجرة فقال : " يا أنيس هل ترى من أحد ؟ " فقلت : يا رسول الله . قال : " هلم ذاك " . فجئت بذلك الثور إليه فجعلته قدامه فغمس ثلاثة أصابعه في الثور فجعل الثور يربو ويرتفع فجعلوا يتغدون ويخرجون حتى إذا فرغوا أجمعون بقي الثور نحو ما جئت به قال دعه قدام زينب فاصفقت الباب عليها ، باباً من جريد ، قال ثابت فقلت يا أبا حمزة كم كان يأكلون من ذلك الثور ، قال : أحسبه قال واحد وسبعون أو اثنان وسبعون ما أكثر الدروس التربوية في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كانت حياته وسيرته حافلة بالمواقف التربوية الفذة والتوجيهات التربوية القيمة ، فهذا خادمه ومن تربى في أحضانه يصف لنا أسلوبه في التعامل عشر سنين يخدمه فلا يعيب عليه شيئاً فعله ولا يقول له لشيء فعله لم فعلت هذا ولا لشيء لم يفعله لم لم تفعل هذا ، إنه الأدب العظيم والخلق الرفيع الذي ينبغي للمسلمين اليوم وفي كل مكان وزمان أن يتحلوا بهذا الخلق ، إن كثيراً من المسلمين وبالذات أهل اليسار منهم يستعملون الخدم والخادمات فكيف هي معاملتهم لهم ؟ هل يعاملونهم

بالحسنى ويقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم ذي الخلق الرفيع الذي يقول : " إخوانكم حولكم أطعموهم مما تطعمون وأكسوهم مما تكتسون فإذا كلفتموهم فأعينوهم " ، لقد ذكر لنا أنس بن مالك كيف تكون الشفقة من خلال ذكر سيرته ، وكيف يكون الكرم ؟ وكيف يكون التواضع ؟ وكيف يكون الزهد ؟ رسول الله خير البرية لا يجد طعام غدائه ليلة أن أصبح عريساً . أين الذين تولعوا الدنيا وتعلقوا بها ، الدنيا التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها : " لا تزن عند الله جناح بعوضة " ، لو أراد الدنيا عليه الصلاة والسلام لصير الله له جبالها ذهباً لكنه عرفه سبحانه وتعالى قدرها وأن الآخرة هي دار القرار وأنها هي الحيوان .

إن من أراد معرفة الكرم والجود فليقف على أحداث السيرة التي توضح مواقفه من هذا الخلق ومنها هذا الحديث الذي نحن بصدده لقد أهدي له هذا الطعام القليل في صبيحة ليلة عرسه وهو وزوجه في أمس الحاجة إليه لكنه بعث إلى عدد من أصحابه ودعاهم إلى هذا الطعام ليعلمنا كيف يكون الكرم ؟ وكيف يكون الجود ؟ وما هو الإيثار ؟ إنها معان أخلاقية عظيمة . فالإيثار أن تؤثر غيرك على نفسك في شيء أنت في أمس الحاجة إليه .

ولقد ظهر من هذا الموقف علماً من أعلام نبوته وآية من آيات إعجازه عليه الصلاة والسلام إلى غير ذلك من دروس تربوية نحن في أمس الحاجة إلى استنباطها من سيرته العطرة التي هي التطبيق العملي لهدي هذا الدين .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا من المتمسكين بسنته السائرين على هديه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

٩- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله دل عباده على طرق الخير والبر وحثهم على ذلك أحمده حمداً كثيراً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين .. أما بعد :

فقد قال الحق سبحانه وتعالى : (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون خبير) . وقال تعالى : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، والآية الأخيرة قيل في سبب نزولها أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن معه إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية . لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فالآية تحث على الإنفاق في سبيل الله على كل وقت في كل حين ، لأن الله ادخر أجر المنفقين عنده ووعدهم بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقد جاء في الحديث بأن الذي يتصدق لوجه الله ويخفي صدقته فهو ممن يظلم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، لأن في إخفاء الصدقة حفظاً لكرامة الفقير وعدم كسر قلبه وسداً لحاجته ومواساة له مع الاحتفاظ بأن يكون العمل سراً بين العبد وبين ربه وفي ذلك إخلاص النية لله وحسن التوجه إليه . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل ،

وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله عز وجل ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " رواه البخاري ومسلم . فنلحظ في هذا الحديث تعدد وجوه البر والخير وهذا من فضل الله ومنه حيث أمر عباده بطاعته وهيأ لهم الفرص حتى تكون أمامهم فرصة التسابق بالخيرات وتعدد القرب والطاعات ، فله الحمد والمنة وله الشكر والثناء الحسن .

وقد جاء في هذا الحديث أن الذي يخفي صدقته ويبالغ في إخفائها أن الله يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وقد ورد في حديث آخر أن صنائع المعروف تدفع عن العبد مصارع السوء والصدقة التي في السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر وتبارك فيه . عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر " رواه الطبراني بإسناد حسن .. وخرج الطبراني أيضاً بإسناده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والصدقة خُفياً تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف " وروى بإسناده أيضاً عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن صدقة السر تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى " ففي هذا الحديث بهذه الروايات بيان لما يحظى به المجتمع المسلم من تكافل اجتماعي وترابط بين أفراده بين الغني والفقير والمجتمع المسلم مجتمع طهر وعفاف الأمر بالمعروف قائم فيه والنهي عن

المنكر من أخص صفاته وهذا يدل على أن التربية الاجتماعية لها النصيب الأوفى في التوجيهات النبوية وكل فرد في المجتمع يشعر بمشاعر الفقراء والضعفاء ويحمل مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتواصى أفراده على البر والخير : " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " ، " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ويلعنكم كما لعنهم – أي اليهود والنصارى – " .

إن المجتمع المؤمن له صفات تميزه عن غيره من المجتمعات فالغني فيه يعطف على الفقير ويؤدي حقه في ماله امتثالاً لقول الحق سبحانه وتعالى : (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ، وهذا حق للفقير في ماله يعطيه إياه دون منة منه فيأخذه الفقير وهو يشعر بحبه للغني الذي لم يحجب حقه عنه فكيف ترى هذا المجتمع الذي شاعت فيه روح المحبة والإخاء وبنيت على أساس من الرحمة والصلة والعطف والحنان ، فلا شك أن هذا المجتمع هو مجتمع الخير والمحبة والشفقة والصلة والمودة وإن هذه المعاني لو انتشرت في مجتمعنا اليوم لوجدتها مجتمعات قوية مترابطة كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، فما أحوجنا إلى الأخذ بتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء في جانب العبادة أو المعاملة أو الآداب أو الأخلاق لقد صلح حال الأمة في جيلها الأول عندما أخذت بهذه التوجيهات النبوية والأخلاق المحمدية وإنه لن يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولقد أمر الله عز وجل باتباع نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم والسير على خطاه وجعل ذلك عنوان محبته فقال عز من قائل : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ، وقال سبحانه : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله

واليوم الآخر) ، فهو صلى الله عليه وسلم القدوة والأسوة لنا ، فعلينا اتباعه والسير على نهجه ، إن قلنا إننا نحبه المحبة الحقيقية أما المحبة العاطفية التي لا تتبني على الاتباع ولا على الحرص على السير على نهجه فهي محبة وهمية ، فلنحرص حرصاً شديداً على دراسة سيرته وتفهم أخلاقه ثم تطبيق ذلك في حياتنا الواقعية وسلوكنا العملي ، ففي ذلك سعادة الدنيا والآخرة .

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك ، اللهم إنا نسألك حب المساكين ومساعدة الفقراء وأن تجعل قلوبنا رحيمة بهم وأيدينا ممدودة إليهم، اللهم إنا نسألك أن تجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين .. اللهم آمين .

١٠- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فإن المتتبع لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجده قد اتصف بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة كيف لا وهو الرسول والنبي والمربي والمعلم والقدوة لأمته ، فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه فاصطفاه لرسالته وخصه بمحبته وصنعه على عينه وجبله على الأخلاق الفاضلة والشيم العالية فأنزل عليه كتابه فأتمر بأمره وانتهى بنهيه ، قال تعالى وهو يصفه بالأخلاق الفاضلة : (وإنك لعلى خلق عظيم) ، يقول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية : [فإنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام] ، وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين ، سألها سعد بن هشام قال : أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : أما تقرأ القرآن . قال : بلى . فقالت : كان خلقه القرآن . ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام مهما أمره به القرآن امتثله ومهما نهاه عنه تركه هذا ما جبله الله عليه من الأخلاق الجبلية الأصيلة العظيمة التي لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أجمل منها وشرع له الدين العظيم الذي لم يشرعه لأحد قبله وهو مع ذلك خاتم النبيين فلا رسول بعده ولا نبي صلى الله عليه وسلم ، فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يحد ولا يمكن وصفه ، فهو أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وقد سمع صلى الله عليه وسلم رجلاً ينصح أخاه في الحياء فقال له : " دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير " ، وللإيمان شعب متعددة والحياء شعبة من الإيمان ، وأما كرمه

صلى الله عليه وسلم فهو لا يوصف فهو يعطي عطاء من لا يخش الفقر والمتتبع لسيرته يجد أن له مواقف في الكرم لا يدانيها شيء . أما شجاعته صلى الله عليه وسلم فقد أثبتتها مواقفه القيادية فكان شجاعاً مقداماً ففي غزوة حنين عندما انهزم المسلمون وفر بعضهم من الميدان كان ثابتاً صامداً يرتجز ويقول : " أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب " ، ولقد سمع الناس صوتاً مفزعاً في المدينة فخرجوا يستطلعون الخبر وإذا برسول الله قد رجع يطمئنهم وقد ركب فرساً لأبي عبيدة دون سرج واكتشف الخطر فقال لهم : " لن تراعوا " وكان حليماً صلى الله عليه وسلم . ففي غزوة حنين جاء أعرابي وأخذ بردائه وجذبه حتى حز في عنقه وقال : يا محمد أعطني من مال الله فنظر إليه وتبسم وأمر له بعطاء . فما عاجله بالعقوبة مع أنه أساء الأدب معه ولا أمر بالانتقام منه بل تحلى بالحلم واتصف بالصفح في كرمه عليه الصلاة والسلام ، فكان يصفح ويتجاوز وموقفه من قومه الذين كذبوا رسالته وعادوه وحاربوه وأخرجوه موقفه منهم عام الفتح مشهور ومعروف ، لقد دخل مكة فاتحاً بعد أن أخرج منها متخفياً مهاجراً هو وصاحبه ، ولكن دخلها وهو متواضع لربه فتذلل بين يديه مخبتاً له مطأطئاً رأسه حتى إنه ليصل إلى مورك رحله ، فخاف القوم الذين كذبوه بالأمس وآذوه هو وأصحابه أشد الإيذاء ، خافوا أن ينكل بهم أو ينتقم منهم ، فها هو قد جاء دور القصاص لكنه عليه الصلاة والسلام بعد أن جمعهم وخطب فيهم قال لهم : " يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم " ، قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . فقال صلى الله عليه وسلم : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " ، إنه الصفح في أعلى درجاته والتسامح في أعلى صوره والرحمة فهو مضرب المثل في هذه الشيم والأخلاق ، ومن رحمته عليه السلام حرصه الشديد على إنقاذ أمته من النار بدعوتهم إلى هذا الدين

وإرشادهم إلى هذا الخير . ومن رحمته عليه الصلاة والسلام أنه عندما توفي ابنه إبراهيم وضعه في حجره وهو ينازع سكرات الموت فسالت دموعه من عينيه رحمة بهذا الطفل وشفقة عليه وحزناً لفراقه . فعندما رآه أحد الصحابة قال : ما هذا يا رسول الله . قال : "هذه رحمة الله وضعها في قلوب عباده المؤمنين " ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : " إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، إنا لله وإنا إليه راجعون " ، بل إن جميع أخلاقه وسجاياه كانت تنطلق من أخلاق القرآن فكان عليه الصلاة والسلام يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ، فهو المبلغ عن الله رسالته ، وقد بين الهدف من بعثته فقال عليه الصلاة والسلام : " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " ، وفي رواية : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ، وقد عرف هذا أصحابه الذين عاشوا معه فعن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً . كما أنه عليه الصلاة والسلام يحب الرفق في الأمور والتسهيل فيها ما لم يكن ذلك إثماً فقال عليه الصلاة والسلام : " إن الله رفيق يحب الرفق " ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها .

نعم هذه هي صفات المربي الذي يريد النجاح في تربيته فهو لا ينتقم لنفسه ولا يحقد على أحد ولكنه غيور على حرمات الله يتمعر وجهه ويتفطر قلبه ولا يقف لغضبه شيء عندما تنتهك محارم الله . ولقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم الموقف الصحيح في تغيير

المنكرات وتغيير الفساد : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان " .

نعم إن الإنكار بالقلب أمر يستطيعه كل أحد وهو أقل درجات إنكار المنكر أما الذي يرى محارم الله تنتهك ولا يتمعر وجهه ولا ينكر بقلبه فعليه أن يراجع إيمانه ويتفقد حاله لأنه بهذا يكون في خطر عظيم . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه إذا رأى انتهاكاً لحرمات الله فإنه لا يقوم لغضبه شيء . أما لنفسه فإنه لا ينتقم . فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط لا عبداً ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا قتل منه شيء فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل . كما أنه عليه الصلاة والسلام غير فاحش ولا متفحش. سأل أحد التابعين عائشة رضي الله عنها عنه عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سحاباً في غلا الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وكان صلى الله عليه وسلم يحث على مكارم الأخلاق ويبين أن صاحب الخلق الفاضل هو من خيار الناس فكان يقول : " إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً " .

إن المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي له أن يقتفي أثره ويتخلق بأخلاقه ويهتدي بهديه ويستن بسنته فإنه إن فعل هذا كان محباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبته بقلبه وجوارحه التي ينبثق عنها العمل لأن المحبة القلبية المتجردة عن حب العمل لا تكفي لقول الله عز وجل : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ، فحري بالمربي المسلم والداعية المؤمن أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة قدوته في ذلك النبي صلى الله

عليه وسلم فيتحلى بالصبر والرحمة والشفقة والصفح لأنه يعيش بدعوته بين الناس غايته مرضاة الله عز وجل وهدفه هداية الناس إلى دين الله .

اللهم إنا نسألك حبك وحب رسولك وحب كتابك ، ونسألك الأخلاق الفاضلة والاستقامة على دينك بفضلك ومنك ولطفك يا أرحم الراحمين .

١١- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين صلى الله عليه وسلم :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فعن شيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه ولا يرى مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له . إن هذا فيه من آداب المعاشرة والعلاقة الاجتماعية ما يكون سبباً في إشاعة روح الأخوة والمحبة والألفة في المجتمع وإذا كانت هذه الأخلاق تؤثر هذا التأثير الطيب إذا صدرت من أي شخص مسلم فتأثيرها أبلغ وأثرها أقوى إذا كانت من معلم أو داعية أو قيادي . فالرسول عليه الصلاة والسلام إذا صافح إنساناً لا يعاجله بنزع يده عنه وكان يقبل على محدثه بوجهه وبكليته فلا يتشاغل عنه ولا ينصرف بوجهه عن وجهه . ألا ما أعظم هذه الأخلاق فنحن في أمس الحاجة إلى إشاعتها في مجتمعاتنا ففي هذا اهتداء بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان صلى الله عليه وسلم متواضعاً للصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد من أمته صلى الله عليه وسلم . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به في حاجتها . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب بز فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم فخرج وهو عليه فإذا رجل من الأنصار قال : اكسني قميصاً كساك الله من

ثياب الجنة فنزع القميص فكساه إياه ثم رجع إلى صاحب الحانوت فاشترى قميصاً بأربعة دراهم وبقي معه درهمان فإذا هو بجارية في الطريق تبكي فقال : " ما يبكيك ؟ " فقالت يا رسول الله دفع إلى أهلي درهمين أشتري بهما دقيقاً فهلكا . فدفع إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرهمين الباقيين ثم انقلبت وهي تبكي فدعاها فقال : " ما يبكيك وقد أخذت الدرهمين ؟ " قالت : أخاف أن يضربوني . فمشى معها إلى أهلها فعرفوا صوته ، فسلم ثم عاد فسلم ، ثم عاد فسلم ، فردوا فقال : " أسمعتم أول السلام ؟ " ، قالوا : نعم . ولكن أحببنا أن تزيدنا من السلام . فما أشخصك بأبينا وأمنا ؟ فقال : " أشفقت هذه الجارية أن تضربوها " . فقال صاحبها : هي حرة لوجه الله لمشاك معها . فبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير والجنة . ثم قال : " لقد بارك الله في العشرة كسى الله نبيه قميصاً ورجل من الأنصار قميصاً وأعتق الله منها رقبة ، وأحمد الله الذي رزقنا هذا بقدرته " .

لقد أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته في هذا الموقف كيف يكون الإيثار وما هو المفهوم العملي للكرم والتواضع والمشي في حوائج الناس وقضائها لهم . فهذا هو صاحب الدعوة الذي قد شغل وقته بأهم القضايا وأعظم الأمور لأمته يذهب ومعه عشرة دراهم فيشتري قميصاً وهو محتاج إليه فيطلبه رجل من الأنصار فيعطيه إياه ويشتري غيره ويجد جارية قد فقدت درهمين فيعطيها الدرهمين ويمشي معها ليشفع لها عند أهلها بألا يضربوها لتأخرها . فهل هناك أعظم من هذه الشيم والأخلاق ؟ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنك لعلى خلق عظيم .

لقد كان صلى الله عليه وسلم يعطف على الفقير والمسكين ويرحم المريض ويشفق عليه ويواسيه ويسعى في قضاء حاجته . فهذه امرأة في عقلها شيء تأتي إليه ويتحدث غليها بأدب واحترام ويكنيها ويقضي حاجتها ، فعن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يا رسول الله إن لي حاجة . فقال : " يا أم فلان انظري أي الطرق شئت " ، فقام معها يناجيها حتى قضت حاجتها . ولقد كان صلى الله عليه وسلم قدم له طعام أكله أو تركه دون أن يذكر معايب فيه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه . فحري بالذين لا هم لهم إلا إبراز المعايب وذكر المثالب أن يتأسوا بهاذ الهدي وأن يأخذوا بهذا الخلق . فليس من شيمه صلى الله عليه وسلم ذكر المعايب والمثالب فهو صفوة البشر وأعلاهم خلقاً وأعظمهم منزلة لقد دعا إلى مكارم الأخلاق وحث عليها بفعله وقوله ولقد أرشد أمته إلى أهمية الأخلاق الفاضلة وأن رسالته تهدف إلى إتمام مكارم الأخلاق فهو المعلم والمربي والمرشد والموجه حتى في التربية والتعليم كان له نهجه المتميز وطريقته الفاضلة وسنته الرشيدة ، لأن دعوته للناس جميعاً على كافة مستوياتهم ومختلف قدراتهم والناس منهم سريع الفهم جيد الحفظ واعي الإدراك . ومنهم بطيء الفهم سيء الحفظ ضعيف الإدراك فكان حديثه مقتضباً قليل الجمل لوعدّه العادّ لأحصاها عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه . عن عائشة أنها قالت رضي الله عنها : كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم فصلاً يفهمه كل أحد ، لم يكن يسرد سرداً . ولقد سمعت رجلاً بجانب حجرتها يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تصلي وقد انتهى حديثه قبل انقضاء صلاتها فقالت : لو أدركته لرددت عليه إن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم . وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : كان في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل وهو بمعنى الاتئاد والتبيين . وعن ثمامة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة رددها ثلاثاً وإذا أتى قوماً يسلم عليهم يسلم ثلاثاً . ولقد استفاد أنس رضي الله عنه الذي خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين من هذا التوجيه النبوي ، فكان إذ تكلم رضي الله عنه تكلم ثلاثاً . ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم تكلم ثلاثاً وكان يستأذن ثلاثاً . والهدف من ذلك حتى يعقل الحديث عنه ويفهم المراد منه وتحصل الفائدة به . وهذا ما أوضحه رضي الله عنه وهو يصف كلام النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه . فالله سبحانه وتعالى أعطاه جوامع الكلم فقال عليه الصلاة والسلام : " بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي " .

فعلى الدعاة والمربين أن يستفيدوا من هذا التوجيه النبوي فيخاطبوا الناس على قدر عقولهم ويحرصوا أن يتحدثوا بحديث مختصر يراعون فيه حال المستمعين والمخاطبين ويبتعدوا عن الألفاظ المعقدة والكلمات الفضفاضة والتقعر في الكلام والتفيهق فيه والثرثرة وكثرة الكلام فيختار من الكلمات والعبارات ما يوضح المعنى ويوصل إلى المقصود .

إن الحديث عن أخلاق المربي الأعظم يحتاج إلى وقت طويل ولكن المتتبع لسيرته صلى الله عليه وسلم تظهر له وبوضوح وجلاء هذه القيم وهذه الأخلاق فعلينا عند دراستها أن

يهتم بجانب التأسي فنبرز هذه الشيم وهذه الأخلاق في حياتنا العملية لأن من مقتضى محبته صلى الله عليه وسلم العمل بهديه في عباداتنا ومعاملاتنا وأخلاقنا ، قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فمحبته القلبية المبنية على العاطفة وحدها لا تكفي بل لابد من المحبة العملية بجانب هذه المحبة .

وفقنا الله لمحبة رسوله واتباع هديه والسير على نهجه فهو قدوتنا وإمامنا وحبيبنا فصلوات ربي وسلامه عليه .

١٢- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين عليه الصلاة والسلام :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

عن سعيد بن المسيب قال : أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال : لألزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأكونن معه يومي هذا . قال : فجاء المسجد فسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : خرج ووجه ها هنا – أي توجه – فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس وهو بستان بالمدينة قريب من قباء فجلست عند الباب ، وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته ، فتوضأ فقدمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وهو حافة البئر ، وقيل : القف : الدكة التي جعلت حول البئر . وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب ، فقلت من هذا ؟ فقال : أبو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت وقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال : " آذن له وبشره بالجنة " . فأقبلت حتى قلت لأبي بكر أدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلا رجليه في البئر وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني وقلت أن يرد الله بفلان خيراً يريد أخاه يأتي به، فإذا إنسان يحرك الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب . فقلت : على رسلك. ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وقلت : هذا عمر بن

الخطاب يستأذن . فقال : " آذن له وبشره بالجنة " ، فجئت وقلت لـه : أدخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلا رجليه في البئر . ثم رجعت وجلست وقلت : إن يرد الله بفلان خيراً يأتي به فجاء إنسان يحرك الباب . فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان . فقلت : على رسلك . فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : " آذن لـه وبشره بالجنة على بلوى تصيبه" ، فجئت وقلت لـه : ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة على بلوى تصيبك . فدخل فوجد القف قد امتلأ فجلس وجاهه من الشق الآخر قال : شريك . قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم .

في هذا الخبر جملة فوائد وإرشادات تربوية منها ، حب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحب الذي حملهم على متابعته والتعلم منه والتربي على يديه فقد كانوا يفدونه بالمهج والأرواح ويتأدبون معه ويصغون إلى حديثه ويأخذون بتوجيهه ويدافعون من دونه ويحرصون على الاقتداء به ، فكان قدوتهم العملية ، قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) ، فهذا أبو موسى يسأل عنه ويقتفي أثره ويلزم نفسه بحراسته ويهيئ فرصة التأمل والتفكير ولا يسمح لأحد بالدخول عليه إلا بعد إذنه عليه الصلاة والسلام ، كما أنهم كانوا يتمتعون بالحب الصادق لبعضهم البعض فكان الواحد منهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فقد كان أبو موسى رضي الله عنه حريصاً على إتيان أخيه وقد تركه يتوضأ بعده على هذا المكان ليحظى ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالجنة .

ومنها تعلم الاستئذان ، هذا الأدب الذي لو أخذ به المسلمون اليوم لرفرف الأمن والإيمان في مجتمعاتهم فالدور لها حرمة وللمسلمين عورات ينبغي أن تصان ، فلا تدخل البيوت إلا بعد الاستئذان والسلام على أهلها . وفي هذه القصة علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخبر أصحابه بأمور مغيبة . وبشرهم بالجنة وأشار إلى البلوى التي حلت بعثمان بن عفان رضي الله عنه . وهذه البلوى هي الفتنة التي حصلت عليه رضي الله عنه وكانت سبباً في استشهاده ، فعثمان هو أحد الخلفاء الراشدين والخليفة الثالث . فعندما اقتحم البغاة عليه داره رضي الله عنه وكان قد رأى رؤيا في المنام وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : " يا عثمان غداً تفطر معنا " ، فأصبح صائماً فقتل بعد صلاة العصر وهو يتلو كتاب الله ، فكان قبل استشهاده رأى أحد هؤلاء البغاة وقد دنت زوجته منه تدافع عنه فلطمها فقال له عثمان : ويحك . قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار . وقد تحققت هذه الدعوة في هذا الشقي . فبعد هذه الفتنة بفترة من الزمن جاءه أناس من الشام وهم في الطريق مروا بمكان وسمعوا إنساناً يصيح يا ويلاه من النار يا ويلاه من النار ، فجاءوا إليه فسألوه عن حاله وقد وجدوه مجدع الأطراف أعمى يصيح لقد كنت مع الأشقياء الذين اقتحموا بيت عثمان فدنت زوجته منه تدافع عنه فقال: لقد دعا عليّ عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: ويحك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار . وقد حل بي ما ترون وها أنا أنتظر النار .

في هذا إشارة إلى فضل سيدنا عثمان رضي الله عنه وكرامة من كراماته حيث تحققت الدعوة في هذا الشقي كما أن فيها بيان لآثار الظلم الوخيمة فالظلم ظلمات يوم القيامة والله عز وجل قال : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً"

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد حذر من دعوة المظلوم فقال : " واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " ، والظالم إذا دعته قدرته على ظلم الناس عليه أن يتذكر أن الله قادر عليه يقصم ظهور الجبابرة والظلمة ، قال تعالى : (لا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) .

فنعوذ بالله من الظلم ونسأله سبحانه وتعالى أن يلهمنا رشدنا ويعذنا من شرور أنفسنا ، اللهم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه .

١٣- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فما أكثر الدروس التربوية في سيرة المربي الأعظم صلوات ربي وسلامه عليه فعن عمر بن مرة الجهني رضي الله عنه قال : خرجنا حجاجاً في الجاهلية في جماعة من قومي فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء لي جبل يثرب وأشعر جهينة وسمعت صوتاً في النور يقول : انقشعت الظلماء وسطع الضياء وبعث خاتم الأنبياء . ثم أضاء لي إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبصرت المدائن وسمعت صوتاً في النور يقول : ظهر الإسلام وكسرت الأصنام ووصلت الأرحام . فانتهيت فزعاً . فقلت لقومي : والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث فأخبرتهم بما رأيت فلما انتهيت على بلادنا جاء الخبر أن رجلاً يقال له أحمد قد بعث فخرجت حتى أتيته وأخبرته بما رأيت . فقال : " يا عمر بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله وحده ، ورفض الأصنام وبحج البيت وصيام شهر رمضان شهر من اثني عشر شهرا فمن أجاب فله الجنة ومن عصى فله النار فآمن يا عمر يؤمنك الله من هول جهنم " ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله آمنت بما جئت به من حلال وحرام وإن رغم ذلك كثير من الأقوام ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به وكان صنم وكان أبي سادنه ، فقمت إليه فكسرته ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدت بأن الله حـــق وإنـــــي لإلهة الأحجـــــــار أول تـــارك

وشمرت عن ساق الإزار مهاجـــراً أجوب إليك الوعث بعد الدكادك

لأصحاب خير الناس نفساً ووالداً رســول مليك النـاس فوق الجبائك

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، مرحباً بك يا عمر فقلت بأبي أنت وأمي أبعث بي إلى قومي لعل الله يمن بي عليهم كما من بك عليّ فبعثني فقال : " عليك بالرفق والقول السديد ، ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً ، فأتيت قومي فقلت يا بني رفاعة ، بل يا معشر جهينة إني رسول الله إليكم أدعوكم إلى الإسلام وآمركم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله وحده ورفض الأصنام وبحج البيت وصيام شهر رمضان شهر من اثني عشر شهراً فمن أجاب فله الجنة ومن عصى فله النار . يا معشر جهينة إن الله جعلكم خيار من أنتم منه . وبغض إليكم في جاهليتكم ما حبب إلى غيركم من العرب كانوا يجمعون بين الأختين ، والغزاة في الشهر الحرام ، ويخلف الرجل على امرأة أبيه ، فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة . فما جاءني إلا رجل منهم قال : يا عمر بن مرة أمر الله عيشك ، أتأمرنا برفض آلهتنا وأن نفرق جمعنا وأن نخالف دين آبائنا الشيم العلي ؟ إلى ما يدعونا إليه هذا القرشي من أهل تهامة ؟ لا حباً ولا كرامةً . ثم أنشد الخبيث يقول :

إن ابن مرة قد أتى بمقـــالة ليس مقالة من يريد صلاحاً

إني لأحسب قوله وفعـــــاله يوماً وإن طال الزمان زياحـاً

ليسفه الأشياخ ممن قد مضى من رآم ذلك لا أصاب فلاحاً

فقال عمر : الكاذب مني ومنك أمرّ الله عيشه وأبكم لسانه وأكمه إنسانه ، قال : فوالله ما مات حتى سقط فوه وأعمي وخرف وكان لا يجد طعم الطعام .

فخرج عمر بن اسلم من قومه حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فحياهم ورحب بهم وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز على لسان رسوله بحق صادق وكتاب ناطق مع عمر بن مرة لجهينة ابن زيد ، إن لكم بطون الأرض وسهولها وقلاع الأودية وظهورها على أن ترعوا نباتها وتشربوا ماءها على أن تؤدوا الخُمُس وتصلوا الخَمْس وفي الغثمة والصريمة شاتان إذا اجتمعتا فإن فرقتا فشاة شاة ليس على أهل المنيرة صدقة . ولا على الواردة لبعثة والله شهيد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين " ، كتبه قيس بن شماس .

في هذا الموقف دروس تربوية وعبر وعظات تفيد المتأمل الذي يريد النجاح في الدعوة إلى دين الله عز وجل ، لأنها توجيهات صدرت من إمام الدعاة والمربي الرحيم عليه أفضل الصلاة والسلام كيف لا ؟ وهو الذي اختاره الله عز وجل لتبليغ رسالة الإسلام وهداية الناس إلى الطريق السوي فهدى الله به من الضلالة إلى الهدى وبصريه من الظلام إلى النور ، وقد هيأه الله لهذه المهمة وصنعه على عينه فهو القدوة والأسوة من سار على هديه فقد أفلح وأنجح ومن تنكب عن طريقه فقد غوي وشقي منن حيث يظنه قد أصاب وأفلح ، فعلينا أن نترسم خطاه في الدعوة إلى دين الله إن أردنا النجاح للدعوة ولنأخذ العظة والعبرة من المواقف الدعوية التي ترد في سيرته عليه الصلاة والسلام .

١٤- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حج حجة واحدة وهي حجة الوداع وفي حجته هذه دروس تربوية هامة وتوجيهات نبوية عظيمة وكان عقب كل نسك يقول : " خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا " ، كل هذا حرص منه عليه الصلاة والسلام أن تقتفي أمته أثره وتسر على منهجه ، لأنه المبلغ عن الله دينه وقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وقد اجتمع معه خلق كثير ورأوا أعماله ومناسكه وسمعوا قوله وتوجيهه فطبقوا في مناسكهم هديه ونقلوا ذلك بصدق وأمانة والمواقف التربوية في حجة الوداع كثيرة نأخذ منها ما يتسع المجال له ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جئنا نسألك فقال : " إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت ، وإن شئتما أمسك وتسألاني فعلت " ، فقالا : أخبرنا يا رسول الله . فقال الثقفي للأنصاري : سل . فقال : أخبرني يا رسول الله . فقال : " جئت تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما وعن طوافك في الصفا والمروة ومالك فيه وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه وعن رميك الجمار ومالك فيه وعن نحرك ومالك فيه مع الإفاضة " ، فقال : والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك . فقال صلى الله عليه وسلم :

" فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفاً ولا ترفعه غلا كتب به حسنة ومحي عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة ، عبادي جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق يرجون رحمتي ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها أفيضوا مغفوراً لكم ولمن شفعتم له ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفيرة كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك مدخور لك عند ربك وأم حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة وتمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك ، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك ما مضى " ، رواه البراز بإسناد لا بأس به وهذا لفظه والطبراني وابن حبان بنحوه وخرجه الطبراني أيضاً بإسناده من حديث عبادة بن الصامت إلا أنه قال فيه : " فإن لك من الأجر إذا أقمت البيت العتيق أن لا ترفع قدماً أو تضعها أنت ودابتك إلا كتب لك حسنة ورفعت لك درجة وأما وقوفك بعرفة فإن الله عز وجل يقول لملائكته : يا ملائكتي ما جاء بعبادي ؟ قالوا : جاءوا يلتمسون رضوانك والجنة . فيقول الله عز وجل : فإني أشهد نفسي وخلقي أني قد غفرت لهم ولو كانت ذنوبهم كعدد أيام الدهر وعدد رمل عالج . وأما رميك الجمار فإن الله عز وجل قال : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون) ، وأما حلقك رأسك فإنه ليس من شعرك شعرة تقع في الأرض إلا كانت لك نور يوم القيامة ، وأما طوافك بالبيت إذا ودعت فإنك تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك " .

حرص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على التعلم والاستفادة فالواحد منهم لا يشكل عليه شيء من أمور العابدة إلا وسأل النبي صلى الله عليه وسلم لا يجد عنه الجواب الكافي والبلسم الشافي لعبة وجهله والسؤال مفتاح التعلم ، قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) .

فينبغي لك أخي المسلم أن تسأل أهل الاختصاص والعلماء عن أي أمر أشكل عليك حتى تعبد الله على بصيرة .. وكم يقع الإنسان في الحسرة والندامة عندما يجد أنه قد بذل جهداً عظيماً في عمل من الأعمال ولكنه على غير هدىً وبصيرة ، ومما هو معلوم أن العمل الصالح هو ما كان خالصاً لله موافقاً لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف إلا عن طريق ما جاء به من الهدى والنور .

إن الملاحظ أن الإنسان إذا أراد أمراً من أمور الدنيا يسأل ويستفسر ويستوضح عن الصغيرة والكبيرة يفعل ذلك حتى لا يقع في خطأ فيخسر خسارة دنيوية ، هذا في أمور الدنيا أما في أمور الآخرة فقد يقع التساهل كثيراً .. لذا فوصيتي أن تعبد الله على بصيرة وأن تسأل عما أشكل عليك حتى تعرف ما هو صواب وما هو خطأ .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله دينه فكل ما أخبر به عن أمر الدين فهو وحي من الله على لسان رسول الله . قال تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى) ، وما أخبر به عليه الصلاة والسلام من أمور مغيبة هو دليل قاطع وبرهان صادق على نبوته عليه الصلاة والسلام فهذا رجل يسأل جملة من الأسئلة يخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يسمعها منه . فمن الذي أطلعه على ذلك ؟ لا شك أن الذي أطلعه هو الله الذي يعلم السر وأخفى ويعلم ما تكنه النفوس وما تنطوي

عليه الصدور وفي هذا الموقف لفتة تربوية هامة ألا وهي حيازة المعلم لثقة المتعلم ، فإذا وثق المتعلم بمعلمه وأصبح عنده في مكان الاحترام والتقدير استفاد من علمه واسترشد بنصحه وأخذ نفسه بنصحه وتوجيهه .

أخي المسلم إنني أوجه لك كلمة نصح صادقة ، أن تهتم بتربية تلاميذك وتكسب ودهم واحترامهم وتكون جاداً في تعليمهم وتوجيههم ومما يعينك على ذلك الشفقة عليهم والعدل بينهم والحزم معهم وقبل ذلك وبعده تمكنك في مادتك العلمية ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وحسن استقامتك لتعلم بلسان الحال قبل لسان المقال .. وفقنا الله وإياك .

١٥- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله رب العالمين الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من مشى ودرج على وجه الأرض وخير معلم للبشرية بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .. لقد جاهد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ولقد أرسى عليه الصلاة والسلام الأسس والقواعد والمبادئ العامة للتربية الإسلامية فبادر بتربية الفرد المسلم الذي يعتبر اللبنة الأساسية للأسرة والمجتمع وجعله بهذه التربية يحمل دين الله عقيدة في النفس وواقعاً في السلوك . ثم حمل هذا الخير وبلغه للناس عامة كما وأنه عليه الصلاة والسلام قد أرسى الأسس والدعائم للأسرة المسلمة وبين مسؤولية كل من الرجل والمرأة فيها ، لأنها نواة المجتمع الإسلامي المنشود ورسخ دعائم المجتمع القوي المؤمن المتماسك . فقال صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " ، فأفراد هذا المجتمع لبنات رصدت وأحكمت فكان البناء مرصوصاً يشد بعضه بعضاً صلوات ربي وسلامه على هذا المربي الأعظم وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

لقد أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه وتعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) ، فمن ذلك الوقت الذي أرسل فيه النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الدين سعى إلى أن تكون التربية الإسلامية للناس عامة وشاملة لكل مناحي الحياة ، لقد قام عليه الصلاة والسلام بإرادته القوية وعزيمته الصادقة وفهمه الثاقب لمعنى التربية بوضع الأسس والاتجاهات الكبرى لامتدادات التربية الإسلامية إنسانياً وعالمياً في أرجاء الأرض وآفاق الزمن ولكل الشعوب والأمم ففتح المراكز التربوية لإعداد المعلمين الذين يفهمون عنه ما يريد ويبلغون عنه بإخلاص وصدق وأمانة لما بعث به من دين الله ، ولقد بعث الرسائل والكتب للملوك والأمراء والرؤساء والكبراء في أنحاء متفرقة وبعث الوفود المعلمة والمربين الحاذقين يعلمون لناس ويبلغونهم دين الله ، وإننا سنستعرض بشيء من الإيجاز هذه الأعمال التربوية والمنجزات الجبارة إذا قيست بعمر الزمن ، ففتح المراكز التربوية ليهيئ البيئة المستقرة الهادئة لتكوين المربين والمعلمين في مجتمع يموج ويضطرب ويغلي بكثير من المفاسد والأخلاق المنحرفة ، والمركز أول ما يبدأ صغيراً ثم يكبر ويتسع نشاطه شيئاً فشيئاً . هذه هي السنة في النمو التربوي خلال المراحل الزمنية المتتابعة وهذه هي الطريقة العملية التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم . فكون المركز التربوي الأول وكان في منزله .

فأول قلب نبض واستجاب لهذه الدعوة وأول عقل تفتح للدرس ووعى الرسالة وفهم الدور وشعر بالمسؤولية هو عقل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ثم كان الصديق الشخصي للنبي المعلم والرسول المربي صلوات ربي وسلامه عليه أبو بكر عبدالله بن أبي قحافة رضي الله عنه هو النموذج الثاني من بين الناس عامة الذي استجاب لهذه

الدعوة وآمن بهذه الرسالة ففهم الدرس ووعى المسؤولية وقام بتبعات التربية الإسلامية فكان الصاحب في الغار والرفيق في الهجرة والخليفة من بعد رسول الله . وكان في المنزل أيضاً شابان ناشئان يافعان هما علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة رضي الله عنهما . تلقيا الدرس وآمنا بالرسالة وتفهما المسؤولية . وانضم إلى هذا الركب الخير من خلال هذه الدروس المباركة وفي هذا المركز التربوي أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد قام هذا المركز التربوي بأعظم مهمة في تاريخ البشرية ألا وهي مسؤولية التربية الإسلامية بكل ما تحمله هذه التربية من معان سامية ومبادئ قيمة ، وإن لنا في رسول الله أسوة حسنة الذي جعل من منزله شعاعاً للمعرفة ونوراً يضيء الطريق إلى التربية الإسلامية الخالدة . فينبغي أن تكون بيوتنا محاضن تربوية لمن يعيش فيها ، ونتذكر على الدوام قول الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، فعلى الأب مسؤولية تعليم الزوجة وترسيخ مبادئ الأخلاق الفاضلة في شخصيتها لأنها أم أولاده وربة بيته ورفيقة دربه وأمينة سره ، قال صلى الله عليه وسلم : " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك " ، ثم هو وإياها عليهما مسؤولية إدارة هذا المحضن التربوي وتوجيه الأفراد فيه وتعليمهم وإرشادهم وإبعادهم عن كل ما يخل بالشرف أو يخدش الكرامة أو يدعو إلى التقصير في حقوق الله وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم : " ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ... " ، وعلينا أن لا تكون بيوتنا فنادق للنوم وأماكن للأكل والشرب واللهو فقط ، فمن المناسب أن تكون في البيت مكتبة تحوي بعض الكتب التي

تنفع وتفيد وأن يكون بها مكان لأداء الصلاة للنساء والصبيان أما الكبار من الرجال والشباب فليحافظوا على الصلاة جماعة في المساجد وأن المرأة المسلمة إذا استضافت بعض نساء الحي فعليها أن تحيل اللقاء إلى لقاء تربوي نافع وتبتعد هي ومن معها عن الغيبة والنميمة وضياع الوقت في الكلام الفارغ . فإذا تحولت منازلنا ودورنا إلى محاضن تربوية بالشكل الذي ذكرت آنفاً تحول المجتمع بإذن الله إلى مجتمع خير وبركة .

ثم انتقل المربي الأعظم إلى تأسيس المركز التربوي الثاني بعد أن ازداد عدد المؤمنين الذين آمنوا بهذا الدين وكان مقر هذا المركز دار الأرقم بن أبي الأرقم حيث يجتمع هؤلاء الصحب الكرام مع معلمهم الذي يتلو عليهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويدعوهم إلى التحلي بمكارم الأخلاق وإلى الصبر على ذلك وتحمل الأذى في سبيله .

ثم أسس المركز الثالث في بلد لم يسلم من أهله إلا القليل آن ذاك لقد كان هذا المركز في المدينة المنورة بعد بيعة العقبة الأولى فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أول مبعوث ومعلم للتربية الإسلامية إنه الشاب المسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه ومعه عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه ، فأخذا يعلمان الناس ويفقهونهم ويرشدونهم ويربونهم على مبادئ الإسلام الفاضلة فكانا مثلاً راقياً لكل معلم ومرب ومرشد . فأصبح الإسلام بهذا الجهد حديث الناس في المدينة ودخل كل بيت .

أما المركز الرابع فقد أسسه النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته حيث أقام أول مسجد أسس على التقوى مسجد قباء . وبعده أنشأ المركز الكبير وهو أعظم جامعة للتربية الإسلامية ألا وهو المسجد النبوي . فكانت في زاوية من زواياه صفة جمعت فقراء المهاجرين الذين نهلوا فيما بعد من معين التربية الإسلامية على يد معلمهم ومربيهم صلوات

ربي وسلامه عليه فلقد كان هذا المسجد مكاناً للعبادة ومنتدى للشورى ومقراً للتربية وثكنة عسكرية ومصحاً لتربية النفوس والأبدان . وهكذا المسجد في المنظور الإسلامي ينبغي أن يكون محضناً هاماً من محاضن التربية الإسلامية فرسالته ليست مقتصرة على أداء الصلاة فحسب بل هي رسالة تربية ومنارة فكر ومنطلق دعوة وإننا لنرجو الله أن تحقق هذه المؤسسة التربية في عالمنا الإسلامي المعاصر رسالتها التربوية الخالدة وإننا لندعو الله عز وجل أن يوفقنا إلى الخير وأن يلهمنا الرشد ويبصرنا بالصواب إنه ولي ذلك والقادر عليه .

١٦- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فإن الدروس النبوية والتوجيهات المحمدية تتوالى على الصحابة رضوان الله عليهم لترسخ لهم مبادئ التربية الإسلامية ولتكون لهم نبراساً يضيء لهم الطريق فيعيشوا بذلك سعداء في الدنيا وسعداء في الآخرة كما تفيد الأجيال اللاحقة من أبناء هذه الأمة جيلاً بعد جيل ونحن اليوم مع دروس تربوية وتوجيهات نبوية نستخلصها من إحدى خطبه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أوردها ابن القيم في زاد المعاد . حيث قال : ذكر البيهقي في الدلائل والحاكم من حديث عقبة بن عامر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة لما كان منها على ليلة فلم يستيقظ فيها حتى كانت الشمس قيد رمح قال : ألم أقلك يا بلال إكلأ لنا الفجر فقال : يا رسول الله ذهب بي النوم الذي ذهب بك فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك المنزل غير بعيد ثم صلى ثم ذهب بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال: أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدي وخير الأعمال ما نفع وخير الهدي ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد

السفلى وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لم يأت الجمعة إلا دبراً ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً من أعظم الخطايا اللسان الكذاب وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل وخير ما وقر في القلوب اليقين والارتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من حر جهنم والشكر كي من النار والشعر من إبليس والخمر جماع الإثم ، وشر المأكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى مواضع أربعة والأمر وملاك العمل خواتيمها وشر الرؤيا رؤيا الكذب وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ، وأكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتآلى على الله نكذبه ومن يغفر له ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يتصبر يضعف الله له ومن يعصي الله يعذبه الله] ، ثم استغفر ثلاثاً .

إن المتأمل في هذه الخطبة يقف منها ومضات تأمل يعطيه حساً تربوياً إسلامياً ، فالرسول عليه الصلاة والسلام كان المربي والقائد للجيش وكان يوزع المهام على أصحابه ويكل لهم بعض الاختصاصات فهذا حارس للجيش وذاك يحمل الراية وآخر يتحسس الأخبار إنها القيادة الحكيمة التي تستفيد من كافة المواهب والقدرات وتوجهها لخدمة هذا الدين وهكذا الراعي المسلم الذي يستشعر المسؤولية ويؤدي واجب الأمانة قدوته في ذلك رسول رب العالمين والنبي الأمين المربي الرباني والقائد الفذ عليه أفضل الصلاة والتسليم ، لقد أوكل الحراسة في هذه الليلة إلى بلال وكان رضي الله عنه الأمين على

أدائها المخلص في الوفاء بها لكنه بشر غلبته عينه فنام فعندما استيقظ الرسول صلى الله عليه وسلم بحرارة الشمس أخذ يعاتب بلالاً كيف أنه نام عن الحراسة ، إنها محاسبة المسؤول التي تحمل الرقة والعتاب اللطيف فتشعر المقصر بالخطأ في أدب جم وأخلاق رائعة: " ألم أقل يا بلال أكلأ لنا الفجر ؟! " فعلى الذين يدرسون فن الإدارة وأسباب النجاح منها أن يأخذوا الدرس من هذا الموقف الذي برزت فيه أهم خاصية من الخصائص الإدارية إنها الشعور بالمسؤولية والدقة في المتابعة وحسن العتاب والمعاقبة إنها صدرت من المعلم والمربي الذي رسخ مبدأ المسؤولية وجسدها في أبهى صورة لها . بقوله : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته كما أبرزها إلى خير العمل والتطبيق بسيرته العطرة وسلوكه العظيم فجسدها واقعاً يعاش في حياة أصحابه عندما أصبح كل واحد منهم يستشعر هذه المسؤولية وترسخ في ضميرهم رقابة الله عز وجل على كافة مستوياتهم واختلاف مسؤولياتهم فهذا عمر رضي الله عنه يجري خلف بعير من أبل الصدقة في وقت الظهيرة حافي القدمين فيراه علي رضي الله عنه فيسأله إلى أين يا أمير المؤمنين فيقول : بعير من إبل الصدقة ندّ أطلبه . فقال علي رضي الله عنه بكلام يدل على فهمه الإداري ويشعره بعظم المسؤولية . فقال : [والله لو ندّت شاة بشاطئ الفرات لكان عمر مسؤولاً عنها إذا وقف بين يديه] .

ألا ما أروع هذه المواقف التي تعطينا الدليل القاطع على الشعور بالمسؤولية . فعلى رجال الإدارة أن يعوا مثل هذه المواقف وينزلوا هذه المبادئ الإدارية مكانها اللائق بها ويستفيدوا منها في تحسين أوضاعنا الإدارية المعاصرة .

١٧- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فقد قال الله تعالى واصفاً رسوله صلى الله عليه وسلم وموجهاً له : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) ، يقول الطبري في تفسيره فبرحمة من الله أودعها في قلبك يا محمد لنت لأصحابك وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت الأذى منهم (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) ، ولو كنت جافياً قاسي القلب لتفرقوا عنك وتركوك . ولكن الله رحمهم بك فلين قلبك حسن خلقك . قال الحسن البصري هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله به ، وقال عبدالله عمر رضي الله عنهما إني أرى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولهذا قال تعالى : (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) ، فتجاوز عن أصحابك واصفح عما نالك من أذاهم وادع لهم بالمغفرة ، وشاورهم فيما حزبك من الأمر تطييباً لقلوبهم وتأليفاً لهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلون ، قال الحسن البصري : ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم . يقول ابن جزيّ الكلبي في كتاب التسهيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله وشاورهم المشاورة مأمور بها شرعاً وإنما

يشاور النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الرأي في الحروب وغيرها لا في الأحكام الشرعية . انتهى كلامه رحمه الله .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه لتقتدي به الناس ، فما خاب من استخار ولا ندم من استشار وينبغي للعاقل أن لا يستقل برأيه لأن من استقل برأيه ضل ومن استخف بغيره ذل ، ولقد شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم في كثير من المعارك فقد شاورهم في يوم بدر فقال : " أشيروا عليّ أيها الناس " ، فتكلم المهاجرون وقال الأنصار : لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، كما أنه صلى الله عليه وسلم نزل في بدر على رأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، كما شاورهم في غزوة أحد . في أن يعقد في المدينة أو أن يخرج للعدو فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم . وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ . فأبى عليه ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فترك ذلك . وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين فقال له الصديق إنا لم نجئ لقتال أحد وإنما جئنا معتمرين . فأجابه إلى ما قال . وهكذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الحروب وغيرها (وإذا عزمت فتوكل على الله) أي إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه إن الله يحب المتوكلين أي يحب المعتمدين عليه المفوضين أمورهم إليه يقول ابن جزى: التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية ، فإن المتوكل له

مراد واختيار وهو يطلب مراده باعتماده على ربه وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار . بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى فهو أكمل أدباً مع الله تعالى .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله عز وجل من باب أعقل الناقة وتوكل على الله . والمتأمل في السيرة يأخذ الدرس بأن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله عز وجل ، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما هاجر عبأ الراحلة والرفيق واختبأ ثلاث ليال وعبأ الدليل للطريق ومن يأتي له بالأخبار من مكة ، ومن يحضر له ولصاحبه الزاد والطعام فهذه كلها من الوسائل والأسباب وهو قبلها وبعدها يتوكل على الله عز وجل أعلى درجات التوكل .

بوقفة تأملية مع هذه الآية الكريمة نجد أن فيها من الدلالات التربوية ما يجعل المربي سليم الصدر ناجحاً في رسالته ، فلين الجانب وعدم الفظاظة في القول تجعل القلوب تأتلف عليه والأرواح بطبيعتها تميل إليه فهذه الآية تشمل على أهم الخصائص النفسية في شخصية المعلم والمربي ، الرحمة اللينة الواعية مكان الشدة والغلظة ، فإن المتعلم قد تصدر منه الخطيئة بقصد وبغير قصد ، وهذه الخطيئة أفضل علاج لها العفو والصفح والتسامح عندئذ يشعر بكرامته واحترام شخصيته وبحبه لمعلمه ومربيه لأن المرء لا يتعلم إلا إذا أحب معلمه والمحبة لا تتمكن وتنمو إلا بالاحترام المتبادل بين المعلم والمتعلم .

والمعلم الناجح هو الذي يستشير تلاميذه في بعض الأمور أو بعض المواقف فيكسبهم بذلك الثقة بالنفس والثقة به ، ولكن تظل للمربي شخصيته القيادية غير المباشرة لأنه ينظر إلى العملية التربوية كلها وللمتعلمين جميعاً من زوايا متعددة (فإذا عزمت فتوكل على الله) ، وحي يدلك المربي مواطن القوة والضعف في نفوس المتعلمين ، فلا يحملهم ما

لا يطيقون رغم أنه يعمل على إصلاح مواطن الضعف عندهم ، ويرعى مواطن القوة ويحافظ عليها فعملية التربية ليست مجرد عملية مادية قوامها أخذ وعطاء أو ربح وخسارة بالمنظور المادي بل التربية ينمو بها الإيمان وتحصل بها الخشية من الله إذا تقرر هذا فالمربي هو الرقيب الحسيب لإصلاح النفوس والأرواح واستقامة السلوك والأعمال وسلامة البواعث والأهداف فالتربية هي التي توجد الضمير الحي الذي يدفع للتكامل ذاتياً في التكوين النفسي كما يدفع لروح العطاء والمسامحة .

هذا ما نستفيده تربوياً من هذه الآية الكريمة ، وما أعظم دروس التربية المستفادة من كتاب الله عز وجل الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

١٨- أبو بكر الصديق رضي الله عنه : -

الحمد لله الذي جعل أمة محمد أمة رسالة وصاحبة دعوة وجعلها خير أمة أخرجت للناس ، أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على من بعثه الله هادياً وبشيراً محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه والتابعين .. أما بعد :

هذه خطبة من خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه ألقاها في العام الأول من خلافته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمنها عدة توجيهات هامة ووصايا إيمانية وتذكر في موقفه أستاذه ومعلمه رسوله وحبيبه وهو في هذا المقام يوجه وينصح ويرشد ويعلم فغلبته العبرة فبكى بكاء الحزين على فراقه صلى الله عليه وسلم أورد هذه الوصية الإمام البخاري رحمه الله في الأدب المفرد في باب من سأل الله العافية قال : حدثنا آدم قال : حدثنا شعبة قال : حدثنا سويد بن حجير قال : سمعت سليم بن عامر عن أوسط بن إسماعيل قال : سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم عام أول مقامي هذا – ثم بكى أبو بكر – ثم قال : عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار . وسلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت بعد اليقين خير من المعافاة ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً .

لنا وقفات مع هذه الخطبة منها : أن أبا بكر وهو الخليفة الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدي رسالته التربوية وخلال المنبر فينصح ويوجه ويربي ويعلم على منهج التربية الإسلامية قدوته التربوية المربي الأعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ،

فلم تكن مسؤولية الخلافة تشغله عن هذه الرسالة التربوية العظيمة وهذا يعطينا الدليل القاطع على أن التربية هي مسؤولية كل فرد في المجتمع بحسب مكانته ووضعه الاجتماعي ومسؤولياته الرسمية " ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " ، وأبو بكر الذي نهل من معين التربية الإسلامية في مدرسة النبوة كان يمارس مهامه التربوية على أكمل الوجوه .

إن التربية الإسلامية أخذ وعطاء يتعلم الفرد ويعلم غيره ويتلقى التوجيه ويوجه غيره .. والمتعلم المسلم وفي لأستاذه يعرف قدره ومكانته ويتذكره دوماً ويدعو له ولقد تذكر أبو بكر حبيبه وصفيه وأستاذه ومعلمه عندما قام في مقامه لتوجيه الناس وتربيتهم وما تمالك نفسه فغلبته العبرة وبكى ، وفي بعض طرق الحديث مخنقته العبرة ثلاث مرات لأنه تذكر ذلك الفيض المتدفق والمعين الزلال ، الذي كان ينهل منه على يد النبي الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه .

ثم ذكر رضي الله عنه ذاك التوجيه الذي وجه به الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وجه به أمته على التحلي بالصدق وهو من الأخلاق الإسلامية الفاضلة ، وبين ملازمة الصدق البر وأنهما سبب في دخول الجنة كما حذر من الكذب وهو من الأخلاق الذميمة وأوضح ملازمته للفجور وهما يوردان العبد النار .. وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم في مكان آخر وهو يوصي أمته بالصدق ويحذرهم من الكذب منزلة الصدق ومنزلة الكذب فقال : " إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " ،

وهذا التوجيه يأتي فيما يسمى بالتربية الأخلاقية وفيه بيان بأن التدريب والترويض على الأخلاق يجعلها من الصفات الأساسية للنفس والذي يروض نفسه على الصدق يصبح هذا الخلق من لوازم هذه النفس وكذلك من يعتاد الكذب ويدرب نفسه عليه يصبح كذاباً من الدرجة الأولى . والكذب من الخصال الذميمة وصفات المنافقين الراسخة وقد ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفات المنافقين بقوله : " آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان " ، وقال أيضاً : " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وأؤتمن خان ، وإذا خاصم فجر " ، ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : " نعم " ، قيل : أيكون المؤمن كذاباً ؟ قال :" لا".

كما أن الكذب أول ما يسيء على صاحبه لأن الناس سرعان ما يكتشفون كذبه وإذا اكتشفوا كذبه حذر بعضهم بعضاً منه فأصبح في المجتمع محتقراً لا يستمع لقوله ولا يوثق في خيره ولا يحرص على صحبته وتصبح الأيدي تشير إليه بالأصابع أتاكم الكذاب ، هذا هو الكذاب . بجانب مع عليه من الإثم والوزر .. نسأل الله العافية .

وقد ورد في الحديث بأن نسأل الله المعافاة وهي أن نسأل الله أن يدافع عنا ويقينا شر البلايا والمحن ، ولقد كان من جملة ما علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه سؤال العفو والعافية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي : " سلوا الله العفو والعافية " ، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الإنسان ربه العفو الذي هو العمدة في الفوز بدار المعاد وأن يرزقه العافية التي هي العمدة في صلاح أمور الدنيا والسلامة من شرورها ومحنها .. فكان هذا الدعاء من جوامع الكلم والفوائد النافعة ، وقيل المعافاة أن

يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك أن يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف أذاك عنهم وأذاهم عنك .

ولقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول صلى الله عليه وسلم دعاء فقوله إن وافقت ليلة القدر فقال : قولي : " اللهم إنك عفو تحب العفو فأعف عني " .. اللهم إنا نسألك التوفيق والسداد ونسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

١٩- عمر بن الخطاب رضي الله عنه :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فعن ابن عباس رضي الله عنه حديثه الذي أوضح فيه موقف عمر رضي الله عنه من الدخول إلى الشام عندما سمع بانتشار مرض الطاعون بها .. فقد خرج من المدينة إلى الشام ليطمئن على أحوال المسلمين المجاهدين ويستطلع أخبارهم ويطمئن إلى أوضاعهم لأنه رضي الله عنه يستشعر مسؤولية الراعي المسلم حيث وعى الدرس من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ... الحديث " ، ولقد كان رضي الله عنه يرعى شؤون الأمة في الدين والدنيا وحكم بالعدل وحافظ على المسؤولية وكان يقول : والله لو ندت شاة بشاطئ الفرات لكان عمر مسؤول عنها إذا وقف بين يديه . ومن مواقفه هذه موقفه من عدم الدخول على الشام عندما سمع بانتشار الطاعون فيها وقد كان معه جمع كبير من الناس عاد بهم بعد أن استشار خوفاً عليهم من المرض ، هذا شيء وشيء آخر مهم هو استشسارته رضي الله عنه لأصحاب الحجج والرأي في المجتمع فقد استشار المهاجرين فيما ينبغي فعله فعندما رأى اختلافهم وعدم اتفاقهم استشار الأنصار رضي الله عنه فعندما رأى اتفاقهم استشار مشيخة قريش من مهاجري الفتح فاتفقوا على رأي واحد وهو الرجوع بالناس وعدم الدخول إلى أرض وقع بها الطاعون والإسلام قد أمر بالشورى وجعلها مبدأ من المبادئ الأساسية الثابتة في نظام الحكم في الإسلام والمسلمون في أعقاب الزمن يستفيدون من هذا المبدأ ألا وهو مبدأ الشورى لأن الله تعالى وصف أمة الإسلام بقوله : (وأمرهم شورى بينهم) ووجه

نبيه صلى الله عليه وسلم إلى هذا المبدأ (وشاورهم في الأمر) ولقد أخذ بهذا الصحابة رضوان الله عليهم فهذا هو عمر يستشير ويستطلع رأي أصحابه في مثل هذا وغيره ومن المواقف التربوية التي تستفيدها من هذا الحديث هو أن أمراء الأجناد أبو عبيدة وأصحابه قد أخبروا عمر رضي الله عنه بانتشار الطاعون في أرض الشام وفي هذا دليل على أن الأمراء والجنود والمسؤولين ينصحون للحاكم المسلم ويخبرونه بما هو كائن ليتخذ القرار الحكيم في الأمر وفي هذا أداء للأمانة وإخلاص للحاكم وطاعة لله عز وجل وفي طاعة الحاكم طاعة الله ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع الأمير فقد أطاعني " ، وهذه الطاعة في المعروف قال تعالى : (وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم) ، فإذا أمرك الوالي بأمر فعليك السمع والطاعة إلا إذا أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وفي طاعة الوالي استتباب للأمن وقطع لدابر الفتنة والفتن إذا فتحت على مجتمع أهلكت الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإن مما نسمع به في عالم اليوم من الحروب وانتهاك الأعراض وسفك الدماء ونهب الأموال هو من هذا الباب فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يديم علينا نعمة الأمن والإيمان والسلامة والعافية وأن يكفينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يكفينا شر الحاقدين والماكرين والمفسدين والمضلين .

ومما نستفيده تربوياً من موقف عمر وعدم دخوله إلى أرض وقع بها الطاعون هو أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله والاعتصام به . فقد قال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أمين هذه الأمة لعمر معاتباً إياه : أفراراً من قدر الله ؟ . أي إنك تعود من دخول الشام تفر من قدر الله وكان عمر رضي الله عنه يكره أن يخالف أبا عبيدة

لكنه قال له وهو في أكمل درجات اليقين والإيمان بالقضاء والقدر : لو قالها غيرك يا أبا عبيدة . أي لكان لي معه شأن ثم ضرب مثلاً ، والأمثال من الوسائل التربوية في التربية الإسلامية والتي تقرب المعنى إلى الأذهان .

يا أبا عبيدة أرأيت لو كان لك إبل وهبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله . فهو بهذا قد أوضح مفهوم الإيمان بالقدر وهو أحد أركان الإيمان ، فالأخذ بالأسباب لا يتنافى مع هذا الإيمان وفي السيرة النبوية مواقف كثيرة تدل على هذا ولقد كانت فرحة عمر عظيمة عندما أخبره عبد الرحمن بن عوف بما سمعه من علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الموقف حيث أورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها " ، فحمد الله عمر أن وافق فعله هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا المؤمن لا يكون فرحه إلا بطاعة الله وطاعة رسوله ، والحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

٢٠- عمر بن الخطاب رضي الله عنه :-

الحمد لله مقدر الآجال له الأمر وله الحكم وهو على كل شيء قدير والصلاة والسلام على نبي الرحمة والهدى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين وأصحابه التابعين .. أما بعد :

فقد ذكرنا قصة استشهاد عمر رضي الله عنه ومن المناسب أن نستوحي منها الدروس والعظات والعبر ، قد قال رضي الله عنه : لئن سلمني الله تعالى لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتمين إلى رجل بعدي أبداً . إن هذا يكشف لنا شيئاً من أهم ملامح شخصيته الإدارية إنه الشعور بالمسؤولية حيث يحمل هموم رعيته ويشعر بمعاناة الفقراء وذوي الحاجة. والإداري الناجح هو الذي يكون جانبه الإيماني مشرقاً وضاءً وهو بما يسمى اليوم في علم الإدارة الجانب الإنساني عند المدير أو المسؤول . لقد تجلى هذا بوضوح في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنه يرى عظم المسؤولية الملقاة على كاهله فهي في نظره غرم لا غنم يدل على ذلك ما قاله : أتمنى أن أكون كفافاً لا لي ولا علي . إنه لمن المناسب جداً أن يدرس المتخصصون في الإدارة من أبناء هذه الأمة هذه السيرة العطرة ويبرزوا الجوانب الإدارية فيها ويعرضونها بكل وضوح للأجيال الصاعدة حتى يربطوها بتاريخ سلفهم الصالح .

ولقد كان عمر رضي الله عنه بجانب قيامه بأمور الناس يصلي بالمسلمين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يمر بين الصفوف يسويها ويقول استووا حتى إذا لم

ير فيهن خللاً تقدم فكبر إنه يفعل ذلك أسوة بنبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث تعلم في مدرسته ما ينبغي أن يفعله الإمام لتسوية الصفوف وتوعيه الناس ، لأن تسوية الصف من تمام الصلاة فحري بالأئمة أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين في هذا الهدي المبارك كما أنه رضي الله عنه كان يقرأ ببعض السور الطوال بسورة يوسف والنحل ونحوهما في الركعة الأولى من صلاة الفجر حتى يتلاحق الناس ويتجمعون وهذه نظرة فيها نوع من الرحمة بالمصلين والحرص على إدراكهم للركعة الأولى فينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار لمن يتحمل إمامة الناس . فعمر رضي الله عنه عندما كبر للصلاة لم يسمع الناس صوته لأن المجرم بادره بالحربة المسمومة فطعنه في خاصرته فقال عمر : قتلني الكلب ، أوكلني الكلب . وهذا يدل على أنه قد عرفه لأنه لما ورد في بعض السير أنه مر عليه فقال : يا عمر سأصنع لك شيئاً سيتحدث به التاريخ . فقال : يتوعدني الكلب . لكن عمر لم يؤاخذه بهذا القول ولم يعاقبه عليه ولعله كان يرى أن القول هذا مجرد تهديد . فعندما شعر بضربة الحربة عرف أنه هو هذا العلج ثم إنه عندما شعر بالألم الشديد حرص على أن يقدم رجلاً ليؤم الناس وهذا من حرصه رضي الله عنه على المصلحة الدينية لمن معه في الصلاة فأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف ، وقدمه ليصلي بالناس وتأخر هو ليكمل صلاته مأموماً وهكذا الإمام إذا انتابه شيء في صلاته . وما فعل هذا عمر إلا بعد أن عرفه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلمه على يديه ، ثم إن عمر أكمل صلاته وجرحه ينزف دماً وفي هذا دليل لمن يرى أن خروج الدم ليس ناقضاً للوضوء .

ثم إن عبد الرحمن خفف الصلاة ، لأن هناك أمر خطير يدعو إلى التخفيف ، وأيضاً كان يلي عمر كبار الصحابة وعلماؤهم وفقهاؤهم وهذا قد وجه إليه رسول الله صلى الله

عليه وسلم حيث قال : " ليلني منكم أولي الأحلام والنهى " لأن الإمام قد يخطئ في القراءة فيستدرك عليه أو يسهو في الصلاة فينبه لذلك أو يحصل له أمر يدعوه لقطع الصلاة فيجد خلفه من يؤم الناس ويكمل لهم الصلاة . وإنه من الخطأ أن يكون خلف الإمام الأطفال صغار السن أو الجهال من الناس وهذا أمر ينبغي التنبه عليه من الأئمة والمصلين .

إن هذا العلج وهو أبو لؤلؤة المجوسي قد امتلأ قلبه حقداً على المسلمين وكراهية لهم حيث أخذ يضرب بحربته المسمومة كل من كان على يمينه ويساره حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة وفي هذا دليل على أن أعداء الإسلام لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة يغتنمون الفرص لأذيتهم والإضرار بهم وحوادث التاريخ المعاصر تشهد بذلك . فماذا فعل الصرب بالمسلمين في البوسنة والهرسك ؟ وماذا عمل أعداء الإسلام بكافة نحلهم على مر العصور والأزمان بالمسلمين من قتل وتعذيب وتشريد فالكفر ملة واحدة ويهدفون على القضاء على الإسلام والمسلمين ولكن : (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

إن عمر رضي الله عنه عندما طعن ما استطاع أن يبدأ القراءة ففقد المسلمون في مؤخرة الصفوف صوته ولا يدرون ما حصل ، فأخذوا يقولون سبحان الله ، سبحانه الله ، ظناً منهم أن عمر قد سها في صلاته واعتبرها صلاة سرية والتسبيح هو الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه إذا انتابهم شيء في الصلاة حيث قال : " من رابه شيء في صلاته فالتسبيح للرجال والتصفيق للنساء " . ولما انصرفوا من صلاتهم قال عمر لابن عباس : يا ابن عباس انظر من قتلني . فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة . قال: الصنع. أي الصانع وهو أبو لؤلؤة المجوسي . قال : قاتله الله ، لقد أمرت به معروفاً – أي أحسنت إليه – لكن مثل هذا لا يثمر فيه المعروف لأن الحقد قد ملأ قلبه . وهكذا كل كافر لا

يؤمن جانبه ولا يطمئن إليه ويتم التعامل معه بحذر . فقال عمر رضي الله عنه : الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام . لقد كتب الله الشهادة لعمر على يد كافر فهنيئاً بالشهادة وهنيئاً له بالصحبة رسول الله . وهنيئاً له بالعدل في الرعية والحكم بالسوية ورعاية مصالح المسلمين والشفقة بهم والرحمة عليهم وحسن الخاتمة حيث استشهد وهو في عبادة الله قائم . وبحقوقه مؤد ولأصحابه قدوة . رضي الله عنك يا عمر وأعلى درجاتك عنده .

٢١- عمر بن الخطاب رضي الله عنه :-

الحمد لله مقدر الأقدار مقلب الليل على النهار والنهار على الليل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وكل شيء عنده بمقدار ، أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم .. أما بعد :

فقد أورد البخاري يرحمه الله قصة استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيها دروس وعبر علنا أن نقف على بعضها بعد ذكر القصة كما جاءت في صحيح البخاري عن عمر بن ميمون قال : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة ووقف على حذيفة بن اليمان ، وعثمان بن حنيف . قال : كيف فعلتما ؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق ؟ قالا : حملناها أمراً هي له مطيقة ما فيها كبير فضل . قال: انظر أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق ؟ قال : قالا : لا . فقال عمر : لئن سلمني الله تعالى لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن لرجل بعدي أبداً . قال : فما أنت عليه إلا أربعة ألا أصيب ؟ قال : إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب ، وكان إذا مر بين الصفين قال : استووا حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر ، وربما قرأ بسورة يوسف أو النحل أو نحوها ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس . فما هو إلى أن كبر، فسمعته يقول : قتلني أو أكلني الكلب . حين طعنه ، فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنساً فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه . فتناول

عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فمن يلي عمر فقد رأي الذي رأى وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر . وهم يقولون سبحان الله ، سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا ، قال : يا ابن عباس ، انظر من قتلني. فحال ساعة ثم جاء . فقال : غلام المغيرة . قال : الصنع ؟ قال : نعم . قال : قاتله الله ، لقد أمرت به معروفاً ؟ الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام ، لقد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً . فقال : إن شئت فعلت . – أي إن شئت قتلنا – فقال : كذبت . بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم ؟ فأُحمل إلى بيته . فانطلقنا معه كأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ . فقائل يقول : لا بأس . وقائل يقول : أخاف عليه . فأُتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه . ثم . أُتي بلبن فشرب فخرج من جوفه . فعرفوا أنه ميت . فدخلنا عليه فجاء الناس يثنون عليه . وجاء رجل شاب فقال : ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك . من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد عملت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة . قال : وودت أن ذلك كفافٌ لا عليّ ولا لي . فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال : ردوا علي الغلام ؟ قال ابن أخي ارفع ثوبك . فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك . يا عبدالله بن عمر : انظر ماذا عليّ من الدين ؟ يحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه . قال : إن وفى له قال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم . فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأد عني هذا المال . انطلق إلى عائشة أم المؤمنين . وقل يقرأ عليك عمر السلام ولا نقل أمير المؤمنين أميراً . وقل : يستأذنون عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه . فسلم واستأذن ثم دخل عليها . فوجدها قاعدة تبكي . فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب

السلام ويستأذنك أن يدفن مع صاحبيه . فقالت : كنت أريده لنفسي ولأوثرنه به اليوم . فلما أقبل قبل هذا عبدالله بن عمر قد جاء ، قال : أرفعوني فأسنده رجل إليه . فقال : ما لديك ؟ قال : الذي تحب أذنت . قال : الحمد لله ما كان شيء أهم إلى من ذلك ؟ فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم فقل : يستأذن عمر بن الخطاب . فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقادير المسلمين . وجاءت أم المؤمنين حفصة ، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فلبثت عنده ساعة . واستأذن الرجال : فولجت داخلاً لهم . فسمعنا بكاءها من الداخل . فقالوا : أوصي يا أمير المؤمنين استخلف . قال : ما أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . فسمي علياً ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وسعداً ، وعبد الرحمن . وقال : يشهدكم عبدالله بن عمر . وليس من الأمر شيء كهيئة التعزية له ، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر . فإني لم أعجزه عن عجز ولا خيانة . أوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حريتهم وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعض على مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم رد الإسلام وجبات المال وغبط العدو وألا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم وترد على فقرائهم . وأوصي بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم ، فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبدالله بن عمر . قال : يستأذن عمر بن الخطاب . قالت : ادخلوه . فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه ، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط . فقال عبد الرحمن : اجعلوا إلى ثلاثة

منكم . فقال الزبير : قد جعلت أمري إلى علي ، قد جعلت أمري إلى عثمان ، وقد سعد : وقد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن : أبكما نبرأ من هذا الأمر . فنجعله عليه والله عليه . وكذا الإسلام لا ينظرن أفضله من نفسه وأسكت الشيخان فقال : عبد الرحمن : أفتجعلونه إلى الله على أن لا آلوا عن أفضلكم ؟ قالا : نعم . فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . والقدم في الإسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ؟ ثم خلا بالآمر . فقال له مثل ذلك ، فلما أخذ الميثاق قال : أرفع يدك عثمان . فبايعه وبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه .

٢٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فمن أعلام التربية الإسلامية الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي تربة في مدرسة محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وتلقى القرآن على المربي الأعظم صلوات ربي وسلامه عليه ثم أخذ يعلم ويربي النسا على كتاب الله عز وجل سالكاً نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضحاً الطريقة المثلى لتعلم القرآن فقال : [تعلم القرآن خمس آيات خمس آيات ، فإن جبريل نزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم خمس آيات خمس آيات] ، نلحظ من هذا التوجيه التربوي أهمية التدرج في التعليم فكلما قل الدرس كان هذا أحرى بفهمه وحفظه واستيعابه كما أن هذا الأثر يرشدنا إلى شعور الصحابة رضي الله عنهم بمسؤوليتهم التربوية وقيامهم بها خير قيام ، فكانوا يربون من خلال المواقف .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : مر عمر بقوم قد زقوا رشقاً وأخطأوا فقال : ما أسوأ رميكم قالوا : نحن متعلمين . قال : لحنكم أشد من سوء رميكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " رحم الله امرئ أصلح من لسانه " .

في هذا الموقف التربوي بيان إلى فهم عمر لمسؤوليته التربوية فقد رأى هؤلاء القوم وهم يتناخلون ويتسابقون في الرماية ، فأقرهم على ما هم منه وانتقدهم انتقاد الماهر بفن

الرماية ، والرماية لون من ألوان الفروسية التي أباحها الإسلام بل حث عليها قال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) ، قال صلى الله عليه وسلم : " ألا إن القوة الرمي " . وقال عمر رضي الله عنه : علموا أبنائكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخير وثباً . فعمر رضي الله عنه أقر هؤلاء القوم على الرماية وانتقد رميهم ثم ردوا عليه بأنهم متعلمون فلحنوا في القول وقالوا نحن متعلمين والصواب نحن متعلمون فبين خطأهم في القول وأوضح لهم بشاعة اللحن ثم ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه : " رحم الله امرئ أصلح من لسانه " .

فعلى المربي أن يعلم من خلال المواقف ، لأن هذا أدعى الفهم وثبات المعلومة وليحرص كل الحرص أن يكون مربياً ومعلماً في آن واحد وهذه مسؤولية لا يعذر منها كل أب وكل معلم . كما أن المربي المسلم ينبغي أن ينمي معلوماته ويزداد علماً إلى علمه وعليه أيضاً أن يكون وقّافاً ومذعناً للحق إذا ظهر له حتى ولو كان قد صدر ممن هو أقل منه علماً وثقافةً . عن أبي غفار قال : مرّ عمر بن الخطاب بقوم قال بعضهم : يا أمير المؤمنين يضحى بالضبي قال : وما عليك لو قلت ظبي ؟ قال : إنها لغة . قال : يُرفع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحشي . وعن الأحنف بن قيس قال : قال عمر : تفهموا قبل أن تسودوا . أي تعلموا العلم ما دمتم صغاراً قبل تصيروا سادة منظوراً إليكم فتستحيوا أن تتعلموه بعد الكبر فتبقوا جهالاً .

ففي هذا التوجيه التربوي نلحظ من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قد حث على العلم والتفقه في دين الله لأن العلم يرفع مكانة الإنسان فيرفع الوضيع . ويزيد الشريف شرفاً كما أنه قد أوضح لنا فترة العمر التي تكون مناسبة للطلب والتحصيل وهذا في

مقتبل العمر وسن الصبا والشباب قبل انشغال المرء بأمور الحياة وتحمله للمسؤوليات لكن إذا وصل الإنسان إلى سن متقدمة وشغل بكثير من المهام فإن فرص التعلم أمامه تتضاءل . وعمر رضي الله عنه فهم جيداً أن التربية في الإسلام أخذ وعطاء فمن تعلم العلم اليوم فإنه يعلمه غيره غداً كما وأنه رضي الله عنه قد تعرف على كثير من الآداب التي ينبغي أن تتوفر في كل من العالم وطالب العلم فقال رضي الله عنه : تعلموا العلم وعلموه الناس وتعلموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم وتواضعوا لمن علمتموه العلم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم .

ألا ما أسمى هذه التوجيهات التي يتحفنا بها علم بارز من أعلام التربية الإسلامية وما أحوجنا اليوم في تربيتنا المعاصرة إلى الأخذ بها في أساليبنا التربوية وطرق تدريسنا وسلوكنا ونحن نطلب العلم فنعلمه أن نتعلمه .. نسأل الله أن يلهمنا السداد والرشد وأن يسدد على طريق الخير خطانا وأن يكسبنا الإخلاص في القول والعمل .

٢٣- خالد بن الوليد سيف مسلول من سيوف الله :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

ففي قصة إسلام خالد بن الوليد كما جاءت في كتب السير وقفات تربوية ومن هذه الوقفات أن خالد بن الوليد قضى شطراً من حياته محارباً لله ولرسوله وللمؤمنين وفي سنة ثمان من الهجرة وفي شهر صفر قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معلناً إسلامه ولقد أسلم وحسن إسلامه وأبلى بلاءً حسناً في جهاد الكفار وسجل التاريخ بطولاته بأحرف من نور واستحق وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم له بأنه سيف من سيوف الله المسلول .

إن الذي عاش في الجاهلية ثم دخل في الإسلام عرف قدر نعمة الله عليه وعرف الإسلام دين الحق معرفة حقيقية لأنه كان قبل ذلك يعيش حياة الضلال والتيه . وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : ما عرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية . لأن الأشياء تتميز بضدها . ومع هذا فالإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها وهذا من نعم الله على عبده المؤمن فخالد بن الوليد قال : يا رسول الله إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادعوا الله أن يغفرها لي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الإسلام يجب ما كان قبله " ، ومع هذا فخالد بن الوليد طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : " اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيل الله " ، إن الإسلام يصنع الأفراد صناعة متميزة ويغير حالهم إلى حال أفضل مما كان عليه بكثير . إن خوف المسلم من الله ورغبته في مغفرة الله تجعله دائم الصلة به سبحانه لذا ورد التوجيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أدعيته بالتوبة

والاستغفار فقال : " أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة " .

أخي المسلم لا تعجز أن تستغفر الله وتتوب إليه وتذكره حال مقامك وعند قعودك وعند ركوب سيارتك وتكثر من قول : اللهم اغفر لي وتب عليّ إنك التواب الرحيم .

لقد كان حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته وهدايتهم حرصاً جعله يسأل من دخل في الإسلام منهم عن حال أهلهم وأقاربهم وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخا خالد بن الوليد عن خالد لأنه أسلم قبله ، مما حدى الوليد بن الوليد أن يبعث لأخيه خالد بخطاب يدعوه فيه إلى الإسلام ويذكر فيه من رجاحة عقله وبعد نظره وسداد رأيه ما يجعله يميز الحق والباطل وذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مثله يجهل الإسلام ؟ " ، فقد كان تأثير هذا الكتاب على خالد قوياً فحري بالداعية المسلم أن يستفيد من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته الناس وينوع في أساليب الدعوة ومن هذه الأساليب عرض فكرة الإسلام من خلال الكلمة المقروءة والمكتوبة وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكاتب الملوك والرؤساء ويعرض الإسلام من خلال كتاباته ورسائله وكذلك الداعية اليوم قد يدعو إلى الإسلام من خلال المحاضرة والكلمة الوعظية والمراسلة وإهداء شريط في الدعوة ومن خلال الكلمة الهادفة مع حرصه على أن تقال في وقتها المناسب وبالطريقة المناسبة ومن أهم ذلك الدعوة من خلال العمل والسلوك والقدوة العملية والسيرة الحميدة ، لأن لسان الحال أقوى من لسان المقال .

عندما عزم خالد بن الوليد على الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز الراحلة وأخذ يبحث عن الرفيق ولكن لابد من أ ، يبين لرفيقه هدفه وغايته ووجهته التي يريد حتى

تتم المرافقة على وضوح في الرؤية فقد عرض على أكثر من شخص ولكن لم يوافقه أحد حتى لقي عثمان بن طلحة . وتردد عن مفاتحته بوجهته حيث قال في نفسه : إن هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجوه ثم تذكر من قتل من آبائه قال : فكرهت أن أذكره ، ثم قال : وما عليّ وأنا راحل من ساعتي ثم ذكر ما صار إليه الأمر وتحدث معه بكلمات في غاية العقل والثبات على الحق والقناعة به . فقال له : إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج أما ترى ما نحن فيه ؟ إنما نحن كأضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف . فأسرع الإجابة .. يقصد بهذا أن قريشاً قد انحسر أمرها وأن دعوة الله إلى الأمام سائرة فالإسلام في ازدياد مستمر والوثنية في انحسار دائم فخالد خاطب في عثمان بن طلحة عقله وقلبه فوجدت دعوته قبولاً عنده ، لأن الحجة البالغة والبرهان الساطع يقوي الفكر ويظهرها حتى تراها البصائر والأبصار فما أحوج الداعية وهو يعرض الفكرة عن الإسلام أن يقوي حجته العقلية المقنعة وضرب الأمثال بقصد تقريب فكرته إلى الأذهان وهذا الأسلوب قد أوضحه القرآن والسنة خير إيضاح فقصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود معروفة مشهورة حيث قال : (رب الذي يحي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال فإن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) ، فأخرج له رجلين من السجن فقتل أحدهما وعفا عن الآخر ، فبادره إبراهيم بقوله : (فإن الله يأت بالمشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) فيراعى في الأدلة العقلية أن تندرج من البسيط إلى الصعب حتى يأتي الدليل القوي في آخر المطاف مؤكداً على الفكرة ومقوياً لها دون طعن فيه أو رد عليه .

٢٤- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :-

الحمد لله منزل الكتاب ومنشئ السحاب وهازم الأحزاب ، أحمده حمداً كثيراً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله الهادي إلى صراط الله المستقيم المبلغ دين الله للناس أجمعين .. أما بعد :

فهذه جوانب مشرقة في حياة الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ، فالفتوحات والجهاد على قدم وساق في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها كما يقول ابن كثير رحمه الله : فلما كان أمره وأمر أمير المؤمنين على ما كان لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية لا على يديه ولا على يد علي وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله وقهر جنده ودحرهم ، فلما رأى ملك الروم انشغال معاوية بحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه فكتب معاوية إليه : والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت . فعند ذلك خاف ملك الروم وأنكف وبعث يطلب الهدنة . في هذا الموقف تظهر حنكة معاوية وقوته وصراحة قوله لأن المؤمن قوي بإيمانه قوي بعقيدته قوي بمعية الله له ، فالمسلم على الدوام معتز بشخصيته الإسلامية واثق من نصر الله وتمكينه لعباده المؤمنين : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ، (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) . لذا خاطب معاوية ملك الروم بهذا الخطاب القوي الذي كل كلمة فيه تعبر عن معناها الحقيقي في واقع وعمل لا في مثالية وخيال ، ولقد فهم الروم وملكهم صدق ما قال معاوية لأنهم جربوا قوة المسلمين المعنوية وشدة بأسهم فخافوا وتراجعوا ، فالكفار أذلاء

بمعصية الله وفي المقابل المؤمنون أقوياء بمعية الله التي اقتضتها طاعته وعبادته . وهذا الموقف يفيد أيضاً على أن من أسباب قوة المسلمين اتحادهم وتضامنهم لأن في الفرقة والاختلاف ضعف وخور وانهزام : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) ، ولقد نهى الله المؤمنين عن كل ما يؤدي إلى النزاع والفرقة ، قال تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

ومعاوية رضي الله عنه بجانب حنكته السياسية كانت له منقبة عظيمة حيث كان أمين على الوحي . فقد ثبت أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ثلاثاً أعطنهن . قال : " نعم " ، قال : تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : " نعم " ، قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : " نعم " ، وذكر الثالثة وهي أنه أراد أن يزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته الأخرى عزة بنت أبي سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة فقال : " إن ذلك لا يحل لي " .

والشاهد من هذا القول أن أبا سفيان كان حريصاً على مستقبل ابنه معاوية حيث طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعله كاتباً بين يديه ولقد هيأه من قبل لهذا المستقبل حيث علمه القراءة والكتابة فقد كانت هاتان المهارتان نادرتين في الأمة الأمية ، هذا شيء ، وشيء آخر أن طلب العلا يتطلب مثابرة وجهداً متواصلاً :

..... من طلب العلا سهر الليالي

من رام العلا من غير كد أضاع العمر في طلب المحال

ولقد كان لمعاوية رضي الله عنه باع في كتابة الوحي وكان أمين في الكتابة وزكاه جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه من فضائله . يقول ابن كثير يرحمه الله : والمقصود أن معاوية كان جملة الكتاب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يكتبون الوحي .

وروى الإمام أحمد ومسلم والحاكم في مستدركه من طريق أبي عوانة الوضاح بن عبدالله اليشكري عن أبي حمزة عمران بن أبي عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء . فقلت: ما جاء إلا إلي. فاختبأت على باب فجاءني فخطاني خطاة أو خطاتين ثم قال : " اذهب فادع لي معاوية " ، وكان يكتب الوحي ، فذهبت فدعوته له ، فقيل إنه يأكل فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنه يأكل ، فقال : " اذهب فادعوه "، فأتيته الثانية ، فقيل : إنه يأكل. فأخبرته . فقال في الثالثة : لا أشبع الله بطنه . قال : فما شبع بعدها . وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه ، أما في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميراً كان يأكل في اليوم سبعة مرات ، يُجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها ويأكل في اليوم أكلات بلحم ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول : والله ما أشبع وإنما أعيا ، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل أحد .. وأما في الآخرة فقد اتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة " ، فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية .

٢٥- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فمن أعلام التربية الإسلامية علم نهل من معينها الصافي على يد المربي العظيم محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه فأفاد من هذه التربية فأصبح من الرواد الأفذاذ ومن من يشار إليهم بالبنان واختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون واحداً من كتاب الوحي وهي مهمة عظيمة وشرف ما بعده شرف حيث أصبح أميناً على كتاب الله عز وجل كما أن هذه التربية جعلته يجيد فن التعامل مع الآخرين بل وأصبحت له سياسة اجتماعية تذكر في كثير من المواقف وتنسب إليه ويقال عنها شعرة معاوية . والتي تعني قوله : لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إن تركوها جذبتها وإن أخذوها أرخيتها . ويجدر بنا الآن أن نقف بعض الوقفات مع سيرة حياته نتملاها ونأخذ الدروس والعظات والعبر منها.

فقد أورد ابن كثير رحمه الله هذه الترجمة في كتابه البداية والنهاية فيقول : [مر رجل فنظر إليه أي إلى معاوية فقال إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه . فقالت هند : إن لم يسد إلا قومه فأماته الله وهو معاوية بن أبي سفيان . وقال : محمد بن سعد أنبأنا علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف قال : نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند : إن ابني هذا لعظيم الرأس وإنه لخليق أن يسود قومه . فقالت هند: قومه فقط ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة] وهذا تفاؤل من هذه المرأة العظيمة وفراسة لم تخطئ في ابنها الذي تولى الخلافة وكان له شأن عظيم فيها رضي الله عنه .

إن نجابة الأب والأم تنعكس على الأبناء فتظهر آثارها في سلوكهم وأعمالهم وهذه النجابة إذا اقترنت بوصايا وتوجيهات سديدة أثمرت ثماراً يانعة فمعاوية رضي الله عنه نشأ بين أبوين حكيمين فهذه أمه هند كتبت إليه تقول : [والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك وإن هذا الرجل – تعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه – قد استنهضك في هذا الأمر فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت] ، وقال له أبوه : [يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله ، وقصر بنا تأخيرنا ، فصار قادة وسادة وصرنا أتباعاً وقد ولوك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم فإنك تجري إلى أمد منافس فإن بلغته أورثته عقبك ، فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص . وسكنها المسلمون قريباً من ستين سنة في أيامه ومن بعده ولم تزل الفتوحات والجهاد قائماً على ساقه في بلاد الروم والفرنج وغيرها .

إن التربية الأسرية إذا كانت من أبوين واعيين مدركين لرسالتهما تؤتي ثماراً يانعة فهذه هند بنت عتبة التي كانت لها شخصية متميزة تسدي النصائح والتوجيهات التربوية إلى ابنها معاوية رضي الله عنه وهو يتولى الإمارة في بلاد الشام وتوصيه بطاعة أمير المؤمنين فيما أحب وكره . لأن طاعة ولي الأمر فيها الخير والسعادة للأفراد والأسر والمجتمعات إضافة إلى أن طاعة ولي الأمر في المعروف طاعة لله عز وجل . قال تعالى : (وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم ... الآية) ، وهذا أبو سفيان بن حرب يوصي ابنه معاوية ويذكر في وصيته مكانة السابقين من المهاجرين وأنهم أصبحوا سادة وقادة إلا بسبقهم في طاعة الله وطاعة رسوله ، وما تأخر من تأخر إلا بمعصية الله ومعصية رسوله ، ولقد

أوضح لابنه معاوية جسامة ما تولاه من الإمارة . نعم لقد ورد في الحديث قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " يا عم لا تسأل الإمارة فإنها خزي وعار وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها " ، ومن حقها العدل والإنصاف . العدل بين الرعية والقسمة بينهم بالسوية وإنصاف المظلوم من الظالم .

إن هذه التربية الأسرية بهذا الوعي والإدراك لمسؤولية التربية في جميع المراحل إذا وجدت محلاً مناسباً وذكاءً نادراً وفطنة واضحة فإن حال الأفراد تصلح بها وتتفيأ ظلالها الوارفة سلوكاً مستقيماً وأخلاقاً فاضلة وسعادة في الدارين لذا فقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على المسؤولية التربوية لكل من الأب والأم بل ولكل فرد في هذا المجتمع الذي لا ينفك أحد فيه عن هذه المسؤولية من أعلى قمة إلى أدنى من في القاعدة حيث قال عليه الصلاة والسلام : " ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " .

فلو قام كل فرد في المجتمع برعاية هذه المسؤولية من الأب والأم والخادم وغيرهم لأصبح حال المجتمع كحال أولئك الذين تربوا في مدرسة الإيمان والذين يعتبرون بحق جيل فريد في تاريخ البشرية . بالإسلام يعيشون وله يدعون ودفاعاً عنه يجاهدون ، قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ، نسأل الله عز وجل التوفيق والسداد والإعانة والتوفيق .

٢٦- أبو هريرة رضي الله عنه :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام بتبليغ الرسالة ودعوة الناس إلى دين الله وهدى الله به الناس إلى طريق الخير والرشاد . ولقد حمل أصحابه رضوان الله عليهم مسؤولية الدعوة معه ومن بعده أيضاً ، فكان الواحد منهم يحرص حرصاً شديداً إلى هداية أهله الأقربين ودعوة الناس أجمعين ، وأصحابه رضوان الله عليهم ما وصلوا إلى هذه المنزلة وأدوا هذه المهمة إلا بعد أن نهلوا من معين التربية التي كان يشرف عليها ويوجه دفتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان منهم رضوان الله عليهم أهل الصفة . وهم أضياف الإسلام وأبو هريرة رضي الله عنه منهم قد فرغ نفسه لكسب العلم والتفقه في الدين على معلم البشرية صلوات ربي وسلامه عليه ولقد كان رضي الله عنه من أول يوم دخل فيه الإسلام حريصاً على دعوة أمه التي كانت على الكفر وكان يعرض عليها الإسلام ويرغبها على الدخول فيه لكنها ترفض ذلك بل وتسمعه في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يؤذيه فيتألم مرتين ويحزن للموقفين في عدم استجابتها للدين وإصرارها على الكفر وفي نيلها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي ولا ييأس من الاستمرار في الدعوة وعرض الدين عليها . ثم لجأ أخيراً إلى الله ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلب منه الدعاء لها بالهداية وأن تلهم الصواب وتجيب دعوة الله . ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة للناس جميعاً لا يضن بالدعوة لها بل يدعو

الله عز وجل فيستجيب الله دعاءه فيها وتسلم وتهتدي إلى الرشد فيفرح أبو هريرة بهذا ويحمد الله أن هدى أمه للإسلام .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت : يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره . فادع الله أن يهدى أم أبي هريرة . فقال : " اللهم اهدِ أم أبي هريرة " ، فخرجت مستبشراً بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما جئت قصدت إلى الباب فإذا هو مجافى – أي مردود – فسمعت أمي حس قدمي فقالت : مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت حصحصت الماء – أي صوت تحريكه – قال : ولبست درعتها وأعجلت عن خمارها ففتحت الباب وقالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فحمد الله وقال خيراً . هذا ما أخرجه مسلم وورد من طريق آخر أن أبا هريرة رضي الله عنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليكون هو وأمه محبوبين عند الناس . فدعا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه فيه وفي أمه .

أخرج بن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : [والله لا يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبني . قلت وما يعلمك ذلك ؟ قال : فقال : إني كنت أدعو أمي .... فذكر نحو الحديث السابق . وزاد في آخره فجئت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت : أبشر يا رسول الله فقد أجاب الله دعوتك قد هدى

الله أم أبي هريرة إلى الإسلام ، ثم قلت يا رسول الله ادع الله أن يحببني وأمي إلى المؤمنين والمؤمنات وإلى كل مؤمن ومؤمنة ، فقال : " اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة " ، فليس يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبني] .

إن هذا الموقف ليدل دلالة واضحة على أن منهج الإسلام في الدعوة يجعل الأحقية الأولى للوالدين والأولاد والأهل والأقارب لقد ظهر لنا بجلاء حرص أبي هريرة في دعوة أمه إلى دين الله ، وسلوكه شتى الوسائل في هدايتها إلى هذا الخير ومن ضمن هذه الوسائل اللجوء إلى الله والاستعانة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن الداعية المسلم عليه مسؤولية عظيمة تجاه أهله وذويه قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، كما أن على الداعية ألا يصل إلى درجة اليأس والقنوط من المدعوين بل يستمر بالدعوة وينوع في الوسائل والأساليب ويتحين الفرص والأوقات ويدعو الله لهؤلاء بالهداية والتوفيق فمن وفقه الله فهو المهتدي من أضله فلن تجد له ولياً مرشداً . كما أن على الداعية أن يشفق على المدعو يتلطف به ويرفق بحاله ويصبر ويحتسب إن أسمعه ما يكره أو فعل إليه ما يسيء . فأم أبي هريرة قبل أن تسلم نالت من رسول الله ومع هذا عندما طلب أبو هريرة منه الدعاء لها أجابه لطلبه ودعا لها بالهداية فاستجاب الله دعاءه وهدى قلبها للإسلام إنه عليه الصلاة والسلام يرسم بهذا المنهج الصحيح للدعوة ، فالداعية إلى الله يدعو لهؤلاء الناس بالتوفيق والهداية ومن باب أولى إذا كان أحدهم ذا ولاية خاصة أو عامة عليهم .. فالدعوة لولاة أمور المسلمين أمر مطلوب

شرعاً فإذا هدى الله ولاة أمور المسلمين أصلح الله بهم الرعية إن الله ليزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن .

ويروى عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال : لو كانت لي دعوة مستجابة لصرفتها إلى السلطان . أوليس يدعو المؤمن للرجل العاصي بالهداية فكيف لا يدعو لولي أمر المسلم الذي بصلاحه تصلح الأمة .

ونلحظ أيضاً من طلب أبي هريرة رضي الله عنه بدعوة رسول لله له ولأمه بمحبة المؤمنين والمؤمنات لهما أن المحبة إذا أصبحت تمثل الرابطة بين المؤمنين أصبح مجتمعهم مجتمعاً قوياً يرحم القوي فيهم الضعيف ويواسي الغني الفقير فهم كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص . قال صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " ، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك ، اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين وحزبك المفلحين وأوليائك المحبين .. اللهم آمين .

٢٧- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

من النماذج التي تخرجت من مدرسة النبوة ممن تلقى الدروس التربوية في هذه المدرسة الكريمة في بداية نشأتها وكان قد سبقه للإسلام خمسة من الصحب الكرام فكان هو السادس بينهم إنه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه فقد شاء الله له الهداية وأراد به الخير فانضم إلى هذه المدرسة التربوية مدرسة محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه فعندما أسلم قال : يا رسول الله بم تأمرني ؟ ، فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم : " ارجع إلى قومك حتى يبلغك أمري " ، وعندما التقى به عليه الصلاة والسلام قال له : " منذ كم أنت ها هنا ؟ " يعني بمكة . قال : قلت : منذ ثلاثين يوماً وليلة . قال : " منذ ثلاثين يوماً وليلة ؟ " قلت : نعم . قال : " فما كان طعامك ؟ " قلت : ما كان لي طعام ولا شراب إلا ماء زمزم . ولقد سمنت حتى تكسرت عكف بطني . وما أجد على كبدي سخفة جوع - قال: أي أبو ذر - ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنها لمباركة وهي طعام طعم وشفاء سقم ".

إن السفر والرحلة في طلب العلم والبحث عن الحقيقة وتلمس طريق الهداية من وسائل التربية الإسلامية ومن الأمور الهامة في التربية لذا فقد اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بالسفر في سبيل ذلك ، فهذا أبو ذر الغفاري قد تحمل المشاق واستسهل الصعب وتحمل الغربة في سبيل ملقاة نبي الرحمة ورسول رب العالمين ليتعلم منه أمور دينه ويستهدي بهديه ويستن بسنته ولقد تلقى التوجيه من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن اعتنق الإسلام وأمن بهذا الدين بأنه يرجع إلى قومه ويكون داعية خير ومشعل هداية بين أهله وذويه

وقومه حتى إذا ما سمع بظهور هذا الدين وتمكين هذه الدعوة جاء لينضم إلى صفوف المؤمنين ويسهم في أداء الرسالة لأن التربية في الإسلام أخذ وعطاء قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أراها إلا يثرب . فهل أنت مبلغاً عني قومك لعل الله عز وجل أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟ " قلت : نعم . قال : فانطلقت فلقيت أخي أنيس فقال لي : ما صنعت ؟ قلت : أسلمت وصدقت . قال : ما بي رغبة عن دينك فقد أسلمت وصدقت . قال : وأتينا أمنا فعرضنا عليها الإسلام فقالت : ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت . فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار فأسلم نصفهم ، وقال النصف الآخر إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا . قال : كان يأمهم خفاف بن إماء – وكان سيدهم – فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم النصف الباقي . وجاء إخواننا من أسلم فقالوا نسلم على ما أسلم عليه إخواننا من غفار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله . فإذا ما خلي بينه وبين النفوس البشرية فإنها سرعان ما تستجيب له لأنه يوافق ميثاق الفطرة (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ، وميثاق الفطرة أخذه الله عز وجل على بني آدم عندما خلق أبوهم عليه السلام قال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ... الآية) ، فأبو ذر رضي الله عنه عندما التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم في أول لقاء له وعرض عليه الدين والعقيدة بصفائها ونقائها وجد ذلك ترحيباً وقبولاً تبعه إعلان إسلامه ثم تلقى التوجيه منه والنصح له بأن يبلغ قومه هذا الدين الذي تلقاه باختصار في شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ورجا الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينفعهم الله به وأن يأجره على رسالته . فالدعوة إلى دين

الله عز وجل لا تختص بأحد دون أحد بل على الجميع التبليغ بما يعرفه من أمر هذا الدين ، قال صلى الله عليه وسلم : " نضّر الله امرئ سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه " أو كما قال صلى الله عليه وسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عنى ولو آية " فأبو ذر رضي الله عنه ما مكث في مدرسة النبوة إلا فترة قصيرة لكنه كان جيد الفهم واعي الذهن قوي الإدراك حركت الكلمات الأولى التي تلقاها من معلمه منابع الخير في نفسه فتجاوبت مع ذلك روحه الشفافة فوعى الدرس جيداً وأدى الرسالة بأمانة وإخلاص وقوة ويقين فبدأ بأسرته أولاً وعرض دعوته إلى أخيه الذي استجاب لهذه الدعوة واعتنقها بقناعة تامة ثم هو وأخيه قاما بدور الدعوة ومهمة التربية . فأول من آمنت على أيديهما أمهما فتكونت بذلك أسرة مؤمنة وتوسع نشاطها ليشمل قبيلة غفار فتجاوب معهما نصف القوم واعتنقوا بذلك الإسلام فتكون مجتمع يدين بهذا الدين ثم إن النصف الآخر أرجأ إسلامه إلى حين ملقاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم حينئذ . ولكن الإسلام هو دعوة الله إلى الناس عامة فقد أسلمت قبيلة أسلم عندما رأوا اعتناق غفار لهذا الدين .

أن مهمة الدعوة هي أمانة في عنق كل مسلم وأمة محمد صلى الله عليه وسلم صاحبة دعوة وحاملة رسالة قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ، فما أعطيت هذه الأمة هذه الصفة وما نالت هذه المكانة إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الواجبات وأعظم المهمات التي ينبغي أن تهتم بها أمة الإسلام وإن الأمة إذا قصرت في هذا الواجب حل بها الضعف ووقعت عليها الذلة وطمع فيها الأعداء وأصبحت نهباً للأهواء

كما هو حالها اليوم ، فما أمة من الأمم استذلت كما استذلت هذه الأمة إن جراحها في يومنا هذا قد كثرت ومهام الأعداء انهالت عليها من كل جانب فمآس في الشرق والغرب وجراح في الشمال والجنوب ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحال في قوله : " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها " ، قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : " بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن " ، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ . قال : " حب الدنيا وكراهية الموت " . نعم لقد تمكن حب الدنيا من القلوب وسيطر الهوى على النفوس وازداد الحرص على الحياة فوقع ما أخبر به الرسول صلى لله عليه وسلم ولن يجلوا هذه الغمة ويزيل هذا الواقع المؤلم إلا العودة الصادقة إلى معين التربية الإسلامية وتغيير ما بالأنفس . قال تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .. اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا رب العالمين .

٢٨- أبو الدرداء رضي الله عنه :-

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فنتأمل هنا دروس في التربية الإسلامية وجهها إليها علم من أعلام هذه التربية نهل من معينها الذي لا ينضب فاستفاد في ذاته وأفاد ألا وهو أبو الدرداء رضي الله عنه الذي كان زاهداً في هذه الحياة الدنيا كان عطاؤه أربعة آلاف درهم فلما مات لم يوجد له إلا ثوب واحد مرقع به أربع وأربعون رقعة فكان ينصح ويوجه ويعلم ويرشد ، فهذا رجل يأتيه يقول له أوصيني فلا يضن عليه بالوصية فيقول له اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء ، وإذا أشرفت على شيء من الدنيا أي إذا حصلت على شيء فيها فانظر إلى ما يصير . إنها وصية عظيمة ، فذكر الله عز وجل طمأنينة للنفس وغذاء للروح ودواء للقلوب ألا بذكر الله تطمئن القلوب فالمؤمن الحق لا يشعر بالضيق ولا ينتابه القلق والاضطراب كما يحصل عند غيره بل هو في نعيم بسبب ذكر الله وهذا الذكر إذا كان في حالة السراء ورغد العيش وبحبوحة النعمة فإنه يكون سبباً في ذكر الله عز وجل لعبده هذه في حال الشدة والضراء فالإنسان في هذه الحياة يعيش بين نعمة ونقمة وفرح وترح وسراء وضراء فقد رسم الإسلام له المنهج السوي الذي يسلكه في هذه الأحوال ، فهو بحاجة إلى الشكر عند السراء والصبر في الضراء والبلاء فقد قال صلى الله عليه وسلم : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر

فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن " ، فالإنسان يجري عليه قضاء الله وقدره وكل ما يقدره فهو خير له وإن ظهر لنا بخلاف ذلك .

فالعبد لا يعرف مصالح نفسه والله الذي خلقه هو الذي يدري ما يصلح عليه ويجري عليه أقداره ليشكره ويذكره فيزداد إيمانه وقد يوقع شيئاً عليه من الضراء ليمحص ذنوبه ويرفع درجاته ليرى صبره وتحمله فمن رضي فله الرضى ومن سخط فعليه السخط . إن ذكر الله في السراء يوجب للعبد ذكر ربه في الضراء هذا ما أوصى به أبو الدرداء الذي عاش بهذا الدين ودعا به وعاش به وعلمه للناس لأنه يعرف أن العلم أمانة عنده وأداؤها يقتضي تعليمه للناس وقد أوصاه بالزهد في الدنيا والتفكر في حالها وعدم الانشغال بها . والزهد يختلف تمام الاختلاف عن العجز والكسل ، فالمؤمن يعمل في هذه الدنيا ولا يكون عالة على غيره لكنه زاهد في حطامها لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه ، ولذلك ورد في الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا " ، ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " ، وكان ابن عمر يقول : إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح . فالمؤمن من لا يعتزل الدنيا لأنه لا رهبانية في الإسلام بل يعمل فيها ويكد ويجتهد ويعبد الله عز وجل على ضوء منهجه سبحانه وتعالى ويتخذها مزرعة للآخرة فهي خير مطية يستعملها العبد في سيره إلى الله ، فما صلى المصلي إلا في الدنيا ولا صام ولا زكى ولا حج ولا اعتمر ولا جاهد في سبيل الله ولا تعلم ولا علم إلا في حال الحياة فهي مزرعة للآخرة ومطية إلى الله

ولكن بئس حال من استعبدته وأصبح عبداً من عبادها لا يكد ولا يجتهد إلا من أجلها ، تعس عبد الدنيا والدرهم .

ومما يعين العبد على الاتصاف بصفة الزهد الأخذ بهذه الوصية الجامعة المفيدة التي أوصى بها أبو الدرداء هذا الرجل : [وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ما يصير]، إن مصيره إلى الزوال ومصيره إلا الفناء ومصيره إلى الدمار : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) ، إنها صيحة لأصحاب الدنيا الغافلين فيها المنشغلين فيها لينتهوا فكم في المقابر من أناس جمعوا الدنيا وتكالبوا عليها وتشاحنوا وتقاطعوا من أجلها ورحلوا منها بالتعب والعناء والشقاء وسوء الخاتمة عياذاً بالله .

ومن وصايا أبي الدرداء قوله رضي الله عنه : " إذا نبذت الناس نبذوك وإن تركتهم لم يتركوك وإن هربت منهم أدركوك فهب عوضك ليوم فقرك " رضي الله عنك يا أبا الدرداء ما أعمق فكرك وأغزر علمك إن هذا القول منك هو في صميم التربية الاجتماعية فالإنسان مدني بطبيعته لا يمكن أن يعيش بمفرده فهو يعيش مع الناس يؤثر فيهم ويتأثر بهم فيستفيد منهم ويفيدهم ويعلمهم ويتعلم منهم . وإن نابذهم نابذوه وإن تركهم تركوه وإن هرب منهم أدركوه ولكن عليه أن يهب نفسه لله وتجعل عوضه ليوم فقره فكم من إنسان يجعله الحاسدون والحاقدون غرضاً لسهام حقدهم وكيدهم وقد يكون حريصاً على ما ينفعهم يسعى إلى جلب الخير لهم لكن الهوى الذي في نفوسهم والحقد الذي في صدورهم هو الذي يجعلهم يعملون ذلك فاجعل أخي المسلم في تعاملك مع الناس رضي الله فإن أحسنت إليهم فلا تطلب العوض منهم ولكن اجعل عوضك عند الله تدخره ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . إنك إن فعلت ذلك لم يؤثر فيك أذاهم ولم

تتغير مبادئك من أجل كيدهم فتعاملك مع الله الذي لا تخفى عليه خافية فهو يعلم السر وأخفى وسيجازي كلاً بعمله وإن فعلنا ذلك عالجنا كثيراً من أمراض النفوس وعلل القلوب وبنينا العلاقات الاجتماعية على المحبة والألفة والمودة والرحمة . قال تعالى : (لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) .

اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين وحزبك المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ونسألك بالله نعيماً لا ينفذ وقرة عين لا تنقطع اللهم اهدنا سبل السلام واجعلنا ممن يستمع القول ويتبع أحسنه .

٢٩- عبدالله بن عباس رضي الله عنهما :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فإن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من شباب الإسلام الذين تربوا في مدرسة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة وكذا روى عن جماعة من الصحابة وأخذ عنه العلم خلق كثير من الصحابة والتابعين وله كما يقول ابن كثير مفردات ليست لغيره من الصحابة ، لاتساع علمه وكثرة فهمه وكما عقله وسعة فضله ونبل أصله رضي الله عنه ، كيف لا وقد دعا له نبي الرحمة والهدى . عن عمر رضي الله عنه قال : إني رأيت رسول الله دعا يوماً فمسح رأسك – يعني ابن عباس – وتفل في فيك ، وقال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " ، وكان صغير السن يقول وهو يذكر صغر سنه : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بن خمسة عشرة سنة مختوناً ، فحاز في حداثة سنه ونعومة أظفاره شيئاً كثيراً من العلم ببركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلس مع الأكابر من الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد كان بعضهم قد وجد في نفسه ورأى أن له من الأولاد من هم في سنه ، وعندما أحس عمر بذلك أراد أن يبين لهم فضل هذا الغلام ومنزلته العلمية . فطرح عليهم سؤالاً يتعلق بسورة النصر ، فقال لهم : ما ترون في هذه السورة [إذا جاء نصر الله والفتح ...] ؟ فسكت بعض وأجاب بعض بجواب لم يرتضه عمر . ثم سأل ابن عباس عنها فقال : أجل رسول الله نعى إليه فقال : " لا أعلم منها إلا بما

تعلم " ، وأراد عمر بذل أن يقرر عنهم جلالة قدره وكبير منزلته في العلم والفهم ، إن هذا السن هن سن شاب في المرحلة المتوسطة اليوم فأي همة هذه جعلت منه عالماً يسأل ويستغنى عن مبادئ التربية في الإسلام تنادي بمبدأ تكافؤ الفرص فهو حق مشاع للجميع للصغير والكبير والذكر والأنثى والرجل من علية القوم ومن الطبقات التي هي دون . فكلما كانت الهمم عالية والرغبة في العلم قوية كلما حصل التمكن من العلم .. فإلى أبناء الإسلام أبناء الإسلام اليوم أوجه هذا النصح راجياً من الله أن يوفقهم لدراسة سيرة أسلافهم حتى تكون نبراساً يضيء لهم الطريق في حياتهم العلمية والعملية وأن يتصفوا بأهم الصفات التي ينبغي أن تتحقق في طالب العلم ، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يروي لنا سيرة حياته في طلب العلم فيقول : كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل من القرآن في ذلك .. فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً ، وكان من الراسخين في العلم عما نزل من القرآن بالمدينة ، فقال : نزل سبع وعشرون سورة وسائرها مكي . وكان هؤلاء للأكابر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلونه ويقدرونه لحرصه على طلب العلم أولاً وقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم ثانياً . فيقول رضي الله عنه وهو يقرر ذلك : كنت لا آت أحداً منهم إلا سر بإتياني إليه لقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم نلحظ من هذا حرص ابن عباس رضي الله عنه على طلب العلم وتحصيله والبحث عن أهله وسؤالهم والاستفادة منهم . فمفتاح العلم السؤال وفي ذلك حرص منه رضي الله عنه على ملازمة العلماء والمشايخ والأخذ منهم مباشرة والأخذ من كل واحد بما معه من علم ، ولقد سئل رضي الله عنه عن الأسباب التي أنزلته هذه المنزلة الرفيعة والتي بموجبها نال هذا

العلم ووعاه فقيل له : أنى أصبت هذا العلم ؟ قال : بلسان سؤول وقلب عقول . وقد قيل : لن ينال العلم مستحي ولا متكبر . فالسؤال أولاً ثم استيعاب الإجابة وفهمها وإدراكها . فليتنبه طلاب العلم إلى هذا وليحرصوا على السؤال . قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ثم الاستيعاب والقهم والإدراك للمعلومة التي تحصل بعد السؤال . كما أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يستمع لأي نصيحة تصدر ممن هو أكبر منه وبالذات إذا كانت من أهله وأقاربه الذين كانوا لا يألون جهداً في نصحه وتوجيهه . فأبوه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عندما رأى عمر رضي الله عنه يجلسه في مجالسه ويستفتيه في القضايا التي يطرحها ويجعله في المجلس الذي يضم الأكابر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصحه بأن يكون في مكان الثقة والتقدير عند عمر . قال مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال لي أبي : [إن عمر يدنيك ويجلسك مع كبار الصحابة ، فاحفظ عني ثلاثاً : لا تفشين له سراً ، ولا تغتبن عنده أحداً ، ولا يجربن عليك كذباً . قال الشعبي قلت لابن عباس كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

فبالنظر إلى هذه الوصية يتضح أن طالب العلم من أهم صفاته أن لا يشغل نفسه بالقيل والقال فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وأن يكون أميناً على سر معلمه وبالذات في الأمور الخاصة وأن يبتعد عن الغيبة لأنها من كبائر الذنوب ويبتعد عن الكذب لأنه من صفات المنافقين وليشغل وقته في طلب العلم وتحصيله ، ولقد اجتمع لابن عباس الكثير من الأسباب التي جعلت عالماً يشار إليه بالبنان ، ودرس وأفتى وهو لازال حدث السن . وقد وصفه بعض الصحابة بعض الصحابة بما يوضح مكانته العلمية . فعن

سعد بن أبي وقاص قال : [ما رأيت أحداً أحضر فهماً ولا ألب لباً ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول : عندك قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار] . قال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد من هذه الأسباب التي اجتمعت لابن عباس بل من أهمها دعوة رسول الله له وفهمه الثاقب وفكره النظيف وقبوله النصح وملازمته العلماء وتواضعه رضي الله عنه وتنقله في طلب العلم وتحصيله ، قد قال رضي الله عنه : [إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفح الريح عليّ من التراب فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلى فآتيك ؟ فأقول لا أنا أحق أن آتيك] قال : [فأسأله عن الحديث] ، قال : [فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع علي الناس يسألوني فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني] ، في هذا بيان لأهمية الرحلة في طلب العلم والصبر والتضحية والتواضع ولين الجانب والبعد عن التكبر وكسب ثقة المعلم والمربي ، فقد روى رضي الله عنه وحدث عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا من الأنصار إن كنت لأقيل بباب أحدهم ، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي ولكن ابتغي بذلك طيب نفسه .

هذا هو طالب العلم مع العلماء ، احترام وتقدير ينال بها طيب نفوسهم وفائدة ما معهم من العلم رضي الله عن ابن عباس وعن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تخرجوا من مدرسة النبوة ، جمعنا الله بهم في مستقر رحمته .

٣٠- عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه :-

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فعن عمرو بن مرة الجهني عن كيفية إسلامه ودعوته إلى دين الله .. لقد رأى رؤيا منامية عن أهم حدث شهده التاريخ ألا وهو بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقد رأى نوراً ساطعاً من الكعبة وسمع معه صوتاً يقول : انقشعت الظلماء وسطع الضياء وبعث خاتم الأنبياء .. ثم عاودته الرؤيا مرة أخرى وسطع له الضياء وسمع صوتاً يقول : ظهر الإسلام وكسرت الأصنام ووصلت الأرحام . نعم إن نور االهداية والإيمان ونور الوحي الإلهي الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم انقشعت به ظلمة الجاهلية وتبدد ظلام الوثنية وسطع بذلك ضياء الحق وبعث خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، لقد أظهر الله الإسلام ، وكسرت الأصنام ووصلت ببعثته الأرحام ، فهو الرحمة المهداة ونعمة الله المسداة للعالمين .

إن الرؤيا الصادقة هي جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة ، وقد عرف عمرو بن مرة الجهني بعقلة الراجح وفكره الثاقب بعد أن رأى هذه الرؤيا أنه سيحدث في قريش حدث هام خطير . وقد حصل عمرو بن مرة الجهني بأنه قد بعث فرحل من ديار قومه حتى وافاه بمكة وأخبره برؤياه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله وحده ورفض الأصنام وبحج البيت وصيام رمضان ، فمن أجاب فله الجنة ومن عصى فله النار ، فآمن يا عمرو يؤمنك الله من أهوال جهنم " .

إن هذا هو الأسلوب الأمثل في عرض الإسلام إلى الناس حتى يعرفوا الغاية من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ويعرفوا ما يدعوا إليه الإسلام بكل وضوح حتى من يدخل إلى الإسلام يدخل ببصيرة فيعرف ما له وما عليه وماذا سيحصل لمن يخالف أمر الله فمن أجاب فله الجنة ومن عصا فله النار . وما كان أمام عمرو بن مرة بعد أن ظهرت له الحقيقة وصدق بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يعلن إسلامه ويوجه مواهبه وشعره وفكره لتأييد هذه الدعوة فينشد ويقول :

شهدت بأن الله حق وأنني ... لإلهة الأحجار أول تارك

وشمرت عن ساق الإزار مهاجراً ... أجوب إليك الوعث بعد الدكادك

لأصحب خير الناس نفساً ووالداً ... رسول مليك الناس فوق الحبائك

إن الإسلام يفجر الطاقات عن الإنسان لتصبح عبقريته فريدة من نوعها . فمواهب مطمورة يظهرها الإسلام لتثمر الخير والصلاح فهذا عمرو بن مرة بعد أن اسلم تحمل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسؤولية الدعوة فقد رحب به رسول الله صلى الله عليه وسلم عضواً نافعاً في قافلة الدعوة إلى الله فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم : بأبي أنت وأمي أبعث لقومي لعل الله بمن بي عليهم كما من بك علي . فالمنة من الله على عبده بأن هداه للإسلام ووفقه للإيمان (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) ، فقد جاء مشركاً عابداً للأصنام والأوثان مسافراً في طلب الحقيقة فعاد إلى قومه مؤمناً داعية إلى دين الله . إن هذا السر عجيب فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ، يهدي من يشاء بفضله ومنه (إنك لا تهتدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ، فقد وعى الدرس من

مدرسة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم مدرسة النبوة والإيمان . ثم عاد يحمل ما تعلمه إلى قومه يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه فجمع قومه وعاهم إلى الإسلام وذكر ما فيهم من خصال حميدة وشيم رفيعة تميزوا بها في الجاهلية عن غيرهم من الناس [يا معشر جهينة إن الله جعلكم خيار من أنتم منه وبغض إليكم في جاهليتكم ما حبب إلى غيركم من العرب فإنهم كانوا يجمعون بين الأختين والغزاة في الشهر الحرام ويخلف الرجل على امرأة أبيه ، فأجيبوا هذا النبي المرسل] ، إن هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله من أفضل الأساليب فتذكر من تدعوه بأفضل الصفات فيه ثم تطلب منه أن يجيب داعي الله . فالخير والشر والحسن والقبيح أمور تعرفها الفطر السوية والعقول الراجحة إذا تخلت عن الهوى وانكفت عن المؤثرات التي تبعدها عن معرفة الحق فعمرو بن مرة يقول بلسان حاله ، أنتم في الجاهلية ابتعدتم عن بعض الصفات الذميمة برجاحة عقولكم وسلامة فطركم . وبهذه العقول الراجحة وهذه الفطر السليمة سيعرفون صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي يأمركم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله الواحد الديان ورفض عبادة الأصنام وعدد لهم بعض أركان الإسلام فقد وجدت دعوته في قلوبهم قبولاً وارتياحاً لكن واحداً من أشقى القوم وممن انحرفت فطرته وانحرف عن قصد عقله وفكره رد عليه رداً غير مؤدب فقال : يا عمرو بن مرة أمر الله عيشك ، أتأمرنا برفض آلهتنا وأن نفرق جمعنا وأن نخالف دين آبائنا ؟ إلى ما يدعونا إليه هذا القرشي من أهل تهامة ؟ لا حباً ولا كرامة . فما كان من عمرو إلا أن قال : الكاذب مني ومنك أمر الله عيشه وأبكم لسانه وأكمه إنسانه أي أعمى عينية . قال : فوالله ما مات حتى سقط فوه وأعمى وخرف وكان لا يجد طعم الطعام . إن الداعية إلى الله سيواجه مثل هذا الصنف وهو يدعو إلى دين الله الحق فيعترض

سبيل الدعوة ليصد عن سبيل الله لكن الداعية المسلم ينبغي أن لا يثنيه مثل هذا النموذج عن أداء رسالته .

فهذا عمرو بن مرة لم يتوقف عن الدعوة ولم يفت في عضده ولم يوهن من عزيمته موقف المتخاذلين ولا أصوات المرجفين ومواقف الحاقدين بل استمر بالدعوة إلى دين الله ودخل وأسلم على يده خلق كثير من أهله المقربين وقومه وجماعته فسافر بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يقطع البيداء ويتحمل المشاق ويكابد وعثاء السفر ووعورة الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه بعض من أسلم من قومه حتى وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحياهم ورحب بهم وكتب كتاباً فيه تعليمات وإرشادات وجلسوا على يديه يتلقون العلم معه فاستفادوا في ذات أنفسهم فحملوه ديناً وعقيدة في نفوسهم وسلوكاً في واقع حياتهم وعزموا على أن يدعو إلى هذا الدين ويلقونه على الناس أجمعين فصلوات ربي وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين محمد الهادي الأمين وآله وصحبه أجمعين.

٣١- عمير بن وهب رضي الله عنه:-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أما بعد :

فإن الإسلام يغير من حياة الشخص الذي يعتنقه فإذا ما تمكن الإيمان من القلب فإنه يوجه الفكر والمشاعر والوجدان بل وكيان الإنسان كله إلى الوجهة الخيرة ، فهذا عمير بن وهب الذي كان ينظر إليه شيطان الجاهلية والذي كان مع جند الباطل والطغيان في غزوة بدر الكبرى تحول إلى حواري في الإسلام وذلك عندما دار حديث بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أعقبه إعلان إسلامه ودخوله في مجتمع الإسلام فبعد غزوة بدر بفترة من الزمن كان في يوم من الأيام في مجلس يضم ابن عمه صفوان ابن أميه فقال صفوان وهو يذكر قتلى بدر ويذكر إياه أمية بن خلف الذي أهلكه الله بل يذكر قتلى بدر قال صفوان : والله ما في العيش بعدهم خير . فقال له عمير صدقت ولولا دين عليّ لا أملك قضاءه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله فأغتنم هذا القول صفوان وقال : عليّ دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا . فقال له عمير : إذن فاكتم شأني وشأنك . ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسُمّ ثم انطلق حتى قدم المدينة . وبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به إذ نظر عمر فرأى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه فقال هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر . ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب موشحاً

سيفه . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ادخله علي " . فأقبل عمر حتى أخذ بجمالة سيفه في عنقه فلببه بها وقال الرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون . فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " دعه يا عمر .. ادنوا يا عمير " ، فدنا ، وقال : انعموا صباحاً . وهي تحية الجاهلية . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام .. تحية أهل الجنة " ، فقال عمير : أما والله يا محمد إن كنتُ بها لحديث عهد . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " فما جاء بك يا عمير؟ " قال : جئت لهذا الأسمر الذي بين أيديكم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " فما بال السيف في عنقك ؟ " قال عمير : قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " أصدقني يا عمير ما الذي جئت له ؟ " قال : ما جئت إلا لذلك . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت : لولا دين عليّ ، وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمد فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك " ، عندئذ صاح عمير : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله ما أنبأك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام . قال الرسول لأصحابه : " فقهوا أخاكم في الدين .. أقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره " ، قال عمر رضي الله عنه : والذي نفسي بيده لخنزير كان أحب إلى من عمير حين طلع علينا ولهو اليوم أحب من بعض ولدي .

يظهر من إسلام هذا الصحابي رضي الله عنه عظم هذا الدين الذي أعزنا الله به فمهما ابتغينا العز بغير الإسلام أذلنا الله . كما يظهر من قصة إسلامه أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الرحيم بأمته الحريص على إيصال الخير إليهم ، ولقد أخذ يحاوره ويسأله ثم بين له أن الله عاصمه من أعدائه لأنه قد أنزل عليه في كتابه : (والله يعصمك من الناس) ، فعندما ظهرت لعمير نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزة من معجزاته ما لبث أن أعلن إسلامه وشهد شهادة الحق .

وقد ظهرت قوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصدق عمر رضي الله عنه وحبه للنبي صلى الله عليه وسلم من خلال تصرفه عندما رأى عميراً متوشحاً سيفه وعندما أخذه بحمالة سيفه وقاده للنبي صلى الله عليه وسلم وطلب من الأنصار الذين كانوا معه أن يكونوا في غاية الحذر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مقتضى حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفه أن يصل إليه سوء فقد كانوا يفدونه بالمهج والأرواح ويقاتلون معه .

كما يظهر هذا الموقف رجاحة عمير بن وهب الذي عندما وضح له من خلال الحوار صدق محمد بن عبدالله بادر بإعلان إسلامه . وما إن شهد شهادة الحق حتى تغير موقف عمر رضي الله عنه منه فأصبح أحب إليه من بعض أهله وأولاده وهذا ما يؤكد مبدأ البراء والولاء فولاء المؤمن لله وفي الله ، وبراءته من أعداء الإسلام لله أيضاً فرباط الإيمان والعقيدة أقوى رباط : (إنما المؤمنون إخوة) ، ويتجلى من الموقف أيضاً حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليم أصحابه أمر هذا الدين وحملهم على تطبيق أوامره واجتناب نواهيه ، فالإسلام ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال

فعندما أعلن عمير إسلامه طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه بأن يفقهوه في الدين ويعلموه القرآن . وفي هذا دليل على أن من اعتنق الإسلام عليه أن يتعلم العلم الشرعي حتى يعبد الله على بصيرة . فالعلم مقدم على القول والعمل .. لذا فقد ترجم البخاري في صحيحه الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله باباً بعنوان [العلم قبل القول والعلم] ثم ذكر قول الله عز وجل : (فاعلم أنه لا إله الله واستغفر لذنبك) ، فالرسول صلى الله عليه وسلم طلب من أصحابه تعليم عمير أمور هذا الدين وتفقهه فيه وتعليمه القرآن ، لأن الله عز وجل ما خلقنا إلا للعبادة ، قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ، وحتى تكون عبادتنا صحيحة لابد في الفقه في دين الله حتى نعبد الله على بصيرة ، لأن من يعبد الله على جهل ففيه شبهة من النصارى . وإن الدروس التربوية في قصة إسلام هذا الصحابي كثيرة ومنها أن على المربي أن يدرس نفسية المتعلم ويخاطب فيه عقله ووجدانه ويسلك معه أسلوب الإقناع فمتى ما أوصله إلى قناعة تامة بصدق ما يسمع وأنه الحق الذي لا مرية فيه أذعن واستجاب كما أن على المربي أن يتحلى بالحلم والأناة وعدم التعجل والشفقة والرحمة ، وأن يكون حريصاً على تعليم الخير والدعوة إليه .. جعلنا الله هداة مهتدين .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٣٢- سعيد بن العاص رضي الله عنه:-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

نتحدث عن علم من أعلام التربية الإسلامية ممن تلقى تربيته وتعليمه منذ نعومة أظفاره في مدرسة محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام إنه سعيد بن العاص رضي الله عنه وذكرنا من شمائله صفة الجود والكرم . وإنه كان يعطي العطاء الكثير ويبذل المال الوفير رغبة في مرضاة الله ونفعاً لعباد الله ، وكان يرى أن هذا البذل والجود ينبغي أن يحفظ معه ماء وجه المحتاج ، لأن كرامة الإنسان عظيمة وحرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة لذلك كان يحرص إن لا يشيع عن أحد من المحتاجين شيئاً يخدش كرامته ولا يفشي له سراً كما أنه يعلم أن المسألة تنزل من قدر الإنسان وتحط من كرامته ولقد كان يوصي أحد أبنائه بأن يتحلى بالجود ويتصف بالمعروف ويبذل العطاء للمحتاج دون أي مسألة منه فيقول رضي الله عنه : يا بني أخذ الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من غير مسألة . ثم يعلل ذلك ويبين أن الإنسان إذا سأل أراق ماء وجهه وخاطر بإهدار كرامته فهو والحالة هذه لو أعطي مال الدنيا لا يساوي ما وصل إليه من خلق الكرامة وتهري لحم وجهه فيقول : فأما إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه أو جاءك مخاطراً لا يدري أتعطيه أم تمنعه ؟ فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته به . إن الشعور المرهف الذي يشعر به المؤمن الذي قد تعلم مبادئ هذا الدين وعامل الناس معاملة الإحسان ونظر إليهم بمنظاره إلى نفسه . [عامل الناس بما تحب أن تعامل به] . إنه امتثال لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال : " حب لأخيك ما تحب نفسك " ، أرأيتم لو أن مجتمعاً من

المجتمعات نقل هذا المعنى العظيم الوارد في هذا الحديث إلى حيز العمل والتطبيق لأصبح هذه المجتمع مجتمعاً مؤمناً نظيفاً تسوده المحبة والإخاء وترفرف على ربوعه الألفة ويعيش الأخوة الصادقة ولانفضت فيه الخصومات والمنازعات والبغضاء والشحناء ولما نصب قاض للحكم بين اثنين ولحوربت فيه الجريمة بكل صورها وأشكالها لأن كل فرد يستشعر هذا المعنى العظيم فيحب لأخيه ما يحب لنفسه فلا يسفك دماً ولا يغتصب له مالاً ولا ينتهك له عرضاً ، ألا ما أعظم هذه التوجيهات النبوية التي كونت مجتمعاً مثالياً في صدر الإسلام فوصفوا بأنهم خير أمة على وجه الأرض ، فلا صلاح ولا فلاح للمؤمنين اليوم إلا بامتثال هذه المنهج الذي صلح به الجيل الأول من الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم ، قال سعيد بن العاص رضي الله عنه وهو يذكر لنا شيئاً من أدب المجالس : [لجليسي علي ثلاث : إذا دنا رحبت به ، وإذا جلس أوسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه] ، انظر هذه الحقوق وتأمل فيها ، تجد للجليس مع جليسه حق الترحيب والتوسيع له في المجلس والإصغاء لحديثه . إنها آداب عظيمة فكم يكون شعور المؤمن عندما يجد أخاً يرحب به ويهتم بمقدمه ويوسع له صدره وقلبه ويفسح له في المجلس ويقبل على حديثه بشوق ولهفة .

ألا ترى أخي المسلم أن هذه الآداب وهذه الشيم والأخلاق تقوي أواصر المحبة وتعمق أثر الأخوة وتشد أواصر المودة فما أحوجنا اليوم إلى هذه الآداب والأخلاق ، لأنها قد ضعفت رابطة الأخوة وفترت عاطفة المحبة في مجتمعات المسلمين اليوم ، إن سعيد بن العاص رضي الله بهذه التوجيهات التربوية يعتبر من المعلمين الربانيين والمربين الماهرين تستمع إليه وهو يوجه ابنه إلى آداب الإسلام وأخلاق المسلم فيقول يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الداني فيمترئ عليك . إنه التصنيف الواعي للبشر وهو يتعامل معهم

وينبغي أن نعرف أصناف البشر وأن نتعامل مع كل صنف بما يلائم حاله ويناسب مقامه ، فالرجل الشريف النبيل يحتاج منا إلى التوقير والاحترام لذلك ليس من الأدب أن نسلك معه مسلك المزاح والمرح بل علينا أن نوقره ونحترمه ونجله ونكبر مكانته . وصنف آخر هو الدنيء من الناس الذي ينبغي أن نقف منه موقف الحذر وأن لا نتنزل معه فيتجرأ ويسيء الأدب . ولا يكتفي سعيد بن العاص بإصدار التوجيهات إلى أهله وأبنائه بل إنه يصدر توجيهاته التربوية إلى مجتمعه والناس من حوله . إنه مبدأ التربية الإسلامية مبدأ تكافؤ الفرص بين الناس في التعليم الذي هو ليس حكراً على أحد . فخطب يوماً فقال : من رزقه الله رزقاً حسناً فليكن أسعد الناس به . إنما يتركه لأحد رجلين إما مصلح فيسعد بما جعمت له ، وتخبت أنت ، وإما مفسد فلا يبقى له شيء .

نعم إن المؤمن الحق الذي أعطي مالاً من وجوه الكسب الحلال ينبغي أن يوجهه في الخير . ويقول به هكذا وهكذا وهكذا . " يا ابن آدم مالك من الدنيا إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو قدمت فأبقيت " ، " نعم المال الصالح للرجل الصالح " ، إذا فعل هذا فهو أسعد الناس بماله أما إذا كان بخلاف ذلك ففائدة هذا المال ذهبت إلى غيره . سواء كان هذا الغير صالحاً أو طالحاً . هكذا كان سعيد بن العاص رضي الله عنه استفاد مما تعلم في مدرسة النبوة وأفاد غيره فالتربية الإسلامية أخذ وعطاء وتعلم وتعليم رضي الله عن سعيد بن العاص وعن سلفنا الصالح .

٣٣- سعيد بن العاص رضي الله عنه:-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فأعلام التربية الإسلامية لا يحصون عدداً لأن الحديث عنهم هو حديث عن الرعيل الأول في الإسلام وسلف هذه الأمة . فكل واحد يعتبر علماً من أعلام الإسلام وإننا اليوم سنتحدث عن واحد منهم . بل شاب من شبابهم تلقى التربية والتعليم منذ نعومة أظفاره في مدرسة محمد بن عبدالله . وكان عثمان يتولاه بالتربية والتوجيه والتسديد فنشأ في حجر عثمان وكان عمره يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين إنه سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي قتل أبوه يوم بدر كافراً قتله علي بن أبي طالب .

سعيد رضي الله عنه كان من سادات المسلمين والأجواد المشهورين وكان جده يكنى بأبي أجنحة رئيساً في قريش يقال له ذو التاج لأنه كان إذا أعتم لا يعتم أحد يومئذ إعظاماً له . وكان سعيد هذا من عمال عمر على السواد وجعله عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته وكان أشبه الناس لحية برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في جملة الاثني عشر رجلاً الذين يستخرجون القرآن ويعلمونه ويكتبونه منهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت .

أرأيت أخي المسلم كيف يكون تأثير التربية في سن الصغر إذا كانت تقوم على أسس راسخة من المبادئ والقيم واقترن فيها العلم بالعمل لقد أصبح لسعيد شأن عظيم في

كتابة المصحف وفي فصاحة اللسان بجانب ما يتمتع به من الكرم والجود حتى أصبح فيه ممن يشار إليه بالبنان فلا غرابة في ذلك وهو من سادات المسلمين ومن معادن العرب فقد جاء الإسلام ووجد في العرب خصالاً حميدة وشيماً راقية فوجهها إلى الخير ووجد عندهم طاقات فجرها إلى عبقريات وقد قال صلى الله عليه وسلم وهو يوضح خيار الناس ومدى تأثير الإسلام فيهم : " خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا " ، وكما قال صلى الله عليه وسلم : " الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " فسعيد بن العاص غلام أدرك مدرسة النبوة في سن التاسعة أي في سن طالب في الصف الثالث الابتدائي اليوم ، فأفاد من هذه المدرسة فوائد جمة كانت هي الأساس لتربيته على مبادئ الإسلام وأخلاقه ورعاه أحد أصحاب رسول الله ألا وهو عثمان بن عفان وأتم بناء تربيته وتعليمه وتوجيهه فجعله فيما بعد يكتب له المصاحف لفصاحة لسانه وقوة بيانه ومهارته في الكتابة فأصبح في جملة من يستخرجون القرآن ويعلمونه ويكتبونه : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " .

فحري بك أيها المعلم الفاضل أن ترسخ في نفوس طلابك أخلاق الإسلام وآداب القرآن ولا تكتفي في رسالتك بالعلم النظري المجرد . بل تحملهم على العمل والتطبيق وتحثهم على الأخلاق الفاضلة والشيم الرفيعة قدوتك في ذلك أعلام الإسلام الأفذاذ الذين مارسوا أداء الرسالة العظيمة رسالة التربية والتعليم فتصل بسيرتهم وتأخذ بمنهجهم في التربية والتعليم إنك إن فعلت ذلك أوجدت في المجتمع أفراداً صالحين يكونون مشاعل هداية ومنارات هدى.

وأنت أيها الأب المسلم مسؤوليتك عظيمة ورسالتك جد خطيرة فأنت المربي في البيت والموجه للأسرة والقيم على الأهل والأبناء ، فأنت مسؤول عن هذه الرسالة أحفظت أم فرطت . فعليك أن تدرس سيرة السلف الصالح وكيف كانوا يوجهون أهليهم وأبنائهم إلى الخير والصلاح فتستفيد من سيرتهم والسير على طريقهم إنك أن فعلت ذلك أنشأت للمجتمع أفراداً صالحين وكانت أسرتك بحق محضناً تربوياً هاماً وساهمت في التربية الإسلامية مساهمة خيرة تجد ثوابها عند الله وفوائدها في الدنيا قبل الآخرة .

إن التربية الإسلامية الرصينة تظهر آثارها على سلوك الأفراد عملاً صالحاً مباركاً وسيرة حميدة مشكورة . فهاهو سعيد بن العاص قد كان حسن السيرة جيد السريرة كما يقول ابن كثير رحمه الله . وكان كثيراً ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيطعمهم ويكسوهم الحلل ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير وكان يصر الصرر ويضعها بين يدي المصلين من ذوي الحاجات في المسجد . وكان كريماً جواداً ممدحاً .

هذا في مجال أخلاقه وسيرته ، وذكرنا قبل مجال فصاحته وقوة بيانه وخدمته للقرآن أما السنة فقد أورد ابن كثير شيئاً من حديثه من طريق يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سعيد الجعفي ، حدثنا عبدالله بن الأجلح ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن سعيد بن العاص قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية " وفي طريق الزبير بن بكار : حدثني رجل عن عبد العزيز بن إبان ، حدثني خالد بن سعيد عن أبيه عن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرد وقالت إني نذرت أن أعطي هذا الثوب أكرم العرب فقال عليه الصلاة والسلام : " أعطه هذا الغلام " ، يعني سعيد بن العاص . وهو واقف ولذلك سميت الثياب السعيدية .

في الحديث الأول كان قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة وقد ذكرنا أنه كان طفلاً عندما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا يفيد أنه كان قوي الذاكرة شديد الحافظة فهذا السن يعيش الطفل أخصب مرحلة من مراحل العمر فلو وجه الطفل في هذه المرحلة إلى حفظ كتاب الله وتعليم سنة رسول الله لاستفاد فائدة علمية وواقعنا اليوم يصدق ذلك فكم نرى ممن يحفظ كتاب الله في هذا السن أو أصغر فلو توجهت همم الآباء والمربين إلى ملاحظة الطفل في هذا السن وأنشئت المدارس الخاصة التي تؤدي هذا الغرض وتسعى إلى تحقيق هذه الرسالة .

أما الحديث الثاني فهو الذي رواه عن عبدالله عمر رضي الله عنهما وفي هذا الحديث بيان أن سعيد بن العاص من أكرم العرب بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك . وقد ذكرنا فيما مضى طرقاً من كرمه وجوده تلقاه من جانبين الجانب الأول إنه نشأ في بيئته عربية كريمة فهو من خيار الناس وأضيف إلى هذا الجانب حسن التربية والتوجيه حيث تلقى في مدرسة النبوة بيان فضل الكرم والجود فالمرأة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم العرب فقال : " أعطه هذا الغلام " ، يعني سعيد بن العاص لا شك أن لهذا تأثيراً بالغاً في التربية فهو نوع من التشجيع إلهام في نفس هذا الغلام أمام الناس مما أبقاه في لا شعور لديه أثر في حياته المستقبلية فأصبح بحق من أكرم العرب وهذا هو أسلوب المربي الأعظم عليه الصلاة والسلام الذي رسم لنا معالم التربية الإسلامية فحري بنا أن نسلك سبيله ونترسم خطاه في تربية أجيالنا الصاعدة .

٣٤- سعيد بن العاص رضي الله عنه:-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فإن من أعلام التربية الإسلامية من الذين نهلوا من معين هذه التربية منذ نعومة أظفاره كان عمره يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين ويقول عنه ابن كثير في البداية والنهاية . كان من سادات المسلمين والأجواد المشهورين إنه سعيد بن العاص رضي الله عنه . وكان من عمال عمر رضي الله عنه على السواد . أي سواد العراق وكان رضي الله عنه ذا فصاحة وبلاغة وكان من جملة من يستخرجون القرآن ويعلمونه ويكتبونه يقول ابن كثير يرحمه الله : [وجعله عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته وكان في جملة الاثنى عشر رجلاً الذي يستخرجون القرآن الكريم ويعلمونه ويكتبونه] ، وكان حسن السيرة جيد السريرة . كيف لا يكون كذلك وقد تلقى تربيته الإيمانية منذ صغره في مدرسة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم . ومن الخصال التي تحلى بها الجود والكرم .

والكرم من الشيم الرفيعة التي حث عليها الإسلام ورغب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعلها من صفات المؤمن فقال عليه الصلاة والسلام : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " ، ولقد كان المصطفى عليه الصلاة والسلام من أجود الناس وأكرمهم وهو القدوة لأصحابه في جميع أخلاقهم وصفاتهم . وسعيد بن العاص يصف ابن كثير كرمه فيقول : [كان كثيراً ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيطعمهم

ويكسوهم الحلل ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير . وكان يصر الصرر من النقود فيضعها بين يدي المصلين من ذوي الحاجات في المسجد .

كرمه وفضله قد وجه إلى أهل الخير والصلاح حتى يقويهم على طاعة الله . وأداء فرائضه انطلاقاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا التقي " ، فصحبة الأخيار تعصم من الزلل بإذن الله وتبعد عن الشر والسوء . والتقي إذا أكل طعامك تقوى به على طاعة الله . فنلت الأجر والمثوبة والصداقة والمودة . فالمسلم يخدمه ويسد حاجته وينفع الله به إخوانه . ويرى ابن تيمية يرحمه الله أن الفقير لا يُعطى نصيبه من الزكاة إذا كان تاركاً للصلاة ، لأن الفروض في الزكاة أن تقويه على الطاعة لا على المعصية وترك العبادة . ولقد شهد الرسول صلى الله عليه وسلم ببرد – أي ثوب – فقالت : إني نذرت أن أعطي هذا الثوب أكرم العرب . فقال عليه الصلاة والسلام : " أعطه هذا الغلام " ، يعني سعيد بن العاص وهو واقف فلذلك سميت الثياب السعيدية .

لقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أكرم العرب وهو لازال حدث السن وفي هذا علم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام . وفي هذا الموقف فائدة تربوية هامة ألا وهي . تشجيع الطفل وحثه على مكارم الأخلاق وذكره بها تشجيعاً له وحفزاً لهمته حتى يتحلى بها وإعطاءه الثقة بنفسه . فعلى المربين أن يسلكوا هذا المسلك مسلك التشجيع وحفز الهمم والحمل على مكارم الأخلاق والشيم الرفيعة فيستخرجوا بذلك ما جبلت عليه النفوس من الخير وما انطوت عليه فطر الناشئة الصافية النقية . ومع كرم سعيد بن العاص كان يراعي مشاعر المحتاجين ، لأن من وجهة نظره أن إراقة ماء الوجه شأنها خطير

وضررها على الشخصية كبير . وكان يعرف ذلك بتربيته التي تراها وكانت تولي الجانب الاجتماعي أهمية قصوى .

أورد ابن كثير يرحمه الله قصة رجل من القراء . أصابته فاقة فقال : كان رجل من القراء الذين يجالسونه – أي سعيد بن العاص – قد افتقر وأصابته فاقة شديدة فقالت له امرأته إن أميرنا هذا يوصف بالكرم – أي سعيد بن العاص – فلو ذكرت له حاله فلعله يسمح لك بشيء فقال : ويحك لا تحلقي وجهي . فألحت عليه في ذلك فجاء فجلس إليه فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً في مكانه فقال له سعيد : أظن جلوسك لحاجة . فسكت الرجل . فقال سعيد لغلمانه : انصرفوا . ثم قال له سعيد لم يبق غيري وغيرك . فسكت ، فأطفأ المصباح رحمك الله لست ترى وجهي فأذكر حاجتك فقال : أصلح الله الأمير ، أصابتنا حاجة وفاقة فأحببت ذكرها لك فاستحييت إذا أصبحت فالق وكيلي فلاناً . فلما أصبح الرجل لقي الوكيل . فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشيء فأت بمن يحمله معك . فقال : ما عندي من يحمله . ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامها : حملتني على بذل وجهي للأمير فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله ولا أراه أمر لي إلا بدقيق أو طعام ولو كان مالاً لما احتاج إلى من يحمله ولأعطانيه ، فقالت له المرأة : فمهما أعطاك فإنه يقوتنا فخذه . فرجع الرجل إلى الوكيل فقال له الوكيل : إني أخبرت الأمير أنه ليس أحد يحمله وقد أرسل بهؤلاء الثلاث السودان يحملونه معك . فذهب الرجل ، فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فقال للغلمان ضعوا ما معكم وانصرفوا فقالوا : إن الأمير قد أطلقنا لك فإنه ما بعث مع خادم بهدية على أحد إلا كان الخادم الذي يحملها من جملتها ، قال : فحسن حال ذلك الرجل .

أرأيتم أيها الأخوة هذا الكرم المصاحب لصون احترام المحتاج وعدم إراقة ماء وجهه وفي المقابل أرأيتم التعفف من ذوي الحاجة والتحرج من المسألة إنها الآداب التي تنادي بها التربية الإسلامية والتي قام بترسيخها المربي الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام . فما أعظم الأخلاق . وما أحوجنا أن نتحلى بها .. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى .

٣٥- الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه:-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فمع صحابي جليل تميز برجاحة العقل وبعد النظر وسرعة التمييز بين الحق والباطل وكان سيداً في قومه شاعراً ذا فصاحة وبلاغة إنه الطفيل بن عمر الدوسي . يروي قصة إسلامه فيقول : [كنت رجلاً شاعراً سيداً في قومي فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات قريش فقالوا إنك امرؤ شاعر سيد وإنا خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه فإنما حديثه كالسحر فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا ، فإنه فرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وابنه فوالله ما زالوا يحدثوني بشأنه وينهونني أن أسمع منه حتى قلت والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساد أذني] ، قال : [فعمدت إلى أذني فحشوتها كرفساً – أي قطناً – ثم غدوت إلى المسجد فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بالمسجد فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله . فقلت في نفسي والله إن هذا لعجز وإني امرؤ ثبت ما تخفى عليّ الأمور حسنها وقبيحها والله لأستمعن منه فإن كان أمره رشداً أخذت منه وإلا اجتنبته فنزعت الكرفس فلم أسمع قط كلاماً أحسن من كلام يتكلم به فقلت يا سبحان الله ما سمعت كاليوم لفظاً أحسن ولا أجمل منه فلما انصرف تبعته فدخلت معه بيته فقلت يا محمد إن قومي جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأخبرته بما قالوا فقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول فقد وقع على أنه حق فاعرض علي دينك فعرض علي الإسلام فأسلمت ثم قلت إني أرجع على دوس وأنا فيهم مطاع وأدعوهم إلى الإسلام لعل الله أن يهديهم فادع الله أن يجعل لي آية . اللهم اجعل له آية

تعينه فخرجت حتى أشرفت على ثنية قومي وأبي هناك شيخ كبير وامرأتي وولدي فلما علوت الثنية وضع الله بين عيني نوراً كالشهاب يراه الحاضر في ظلمة وأنا منهبط من الثنية فقلت اللهم في غير وجهي فإني أخشى أنها مُثلة لفراق دينهم فتحول فوقع في رأس سوطي فلقد رأيتني أسير على بعيري إليهم وإنه على رأس سوطي كأنه قنديل معلق فأتاني أبي فقلت إليك عني فلست منك ولست مني ، قال وما ذاك . قلت : إني أسلمت واتبعت دين محمد فقال : أي بني دني دينك . وكذلك أمي . فأسلما ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبت علي وتعاصت ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : غلب على دوس الزنا والربا فادع عليهم . اللهم اهد دوساً . ثم رجعت إليهم وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقمت بين ظهرانيهم أدعوهم إلى الإسلام حتى استجاب منهم من استجاب وسبقتني بدراً وأحد والخندق . ثم قدمت بثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى فتحت مكة . فقلت يا رسول الله ابعثني على ذي الكفين صنم عمر بن حممه حتى أمرقه قال أجل فاخرج إليه فأتيت فجعلت أوقد عليه النار ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقمت معه حتى قبض ثم خرجت إلى بعث مسيلمة ومعي ابني عمر حتى إذا كنت ببعض الطريق رأيت رؤيا ، رأيت كأن رأسي حلق وخرج من فمي طائر وكأن امرأة أدخلتني في فرجها أو كأن ابني يطلبني طلباً حثيثاً وحيل بيني وبينه فحدثت بها قومي فقالوا خيراً . فقلت أما أنا فقد أولتها أما حلق رأسي فقطعه، أما الطائر فروحي، والمرأة الأرض أدفن فيها روعت أن أقتل شهيداً وأما طلب ابني إياي فما أراه إلا سيعذر في طلب الشهادة ولا أراه يلحق في سفره هذا قال : فقتل الطفيل يوم اليمامة وجرح ابنه ثم قلت يوم اليرموك بعده] .

إن الله قد ميز بين البشر في المواهب والقدرات فجعل بعض الناس أفضل من بعض في الفهم والتمييز بين الحق والباطل وأعطى البعض قوة في البيان وملكة متميزة في طرح الفكرة وعرضها فالطفيل رضي الله عنه كان شاعراً مفوهاً وذكياً متميزاً فأراد الله له الهداية عندما صم أن يسمع ما يدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندما سمع كلام الحق وهو متجرداً من أي مؤثرات على فطرته استجاب على القوى وأعلن إسلامه مع أن المشركين كانوا حريصين على عدم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل الباطل دوماً يصدون عن الحق ويدعون إلى الضلال . والطفيل رضي الله عنه بعد أن هداه الله أصبح داعية إلى هذا الخير وأكرمه الله بعلامة وكرامة أعانته في الدعوة إلى هذا الخير أن الداعية لا ينفيك عن الوسط الاجتماعي بل يعيش منه ويتحسس أمراض النفوس وأدواء القلوب ويصف لها العلاج الناجع من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبجانب هذا يتجلى بالشفقة والعطف ولين الجانب حتى يكون مقبول الشخصية عند المدعويين بفرض احترامه عليهم فتميل القلوب إليه محبة وإجلالاً فيجد عندئذ أذاناً صاغية وقلوباً واعية فيوفق بتوفيق الله في أداء رسالته وهو محتسب مخلص لله في عمله : " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " .. نسأل الله عز وجل التوفيق لما يحب ويرضى .

٣٦- أبو خثعمة رضي الله عنه:-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فإن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام هو المربي الأعظم والمعلم لأصحابه هذا الدين لقد شغل كل حياته في الدعوة والتربية على دين الله عز وجل كانت لقاءاته مع أصحابه وغزواته محاضن للتربية بل إن سيرته عليه الصلاة والسلام وسنته القولية والفعلية والتقريرية قد اشتملت كلها على مواقف تربوية فأعلم الناس بالسنة أمهرهم في التربية وإننا اليوم مع موقف تربوي وحدث تاريخي ودرس من دروس التربية في غزوة تبوك هذه الغزوة التي كانت في حر شديد ومشقة بالغة وسفر مضن ورحلة طويلة . ولقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم في غزواته أن يوري عند خروجه ويعمي على أعدائه من اليهود والمنافقين فإذا أراد الخروج شمالاً اتجه جنوباً وإن أراد غرباً شرق إلا في هذه الغزوة أعني غزوة تبوك فقد بين وجهته لبعد الشقة وطول السفر وطيب الثمار في المدينة والظلال ليكون من خرج إليها على بصيرة من أمره فخرج هو وأصحابه رضي الله عنهم وتخلف من تخلف من المنافقين وبعض أصحابه ومن بين هؤلاء أبي خثعمة الذي تربى في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم ، لقد رجع أبو خثعمة بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين له في حائطه أي في حديقته قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماءً وهيأت له فيه طعاماً فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الضحى – أي في الشمس – والريح والحر وأبو خثعمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ؟ ما هذا بالنصف . ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا لي زاداً ففعلتا وقد قدم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك .

وقد كان أدرك أبا خثعمة عمير بن وهب الجمحي في الطلب يطلب رسول الله صلى الله عليه فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خثعمة إن لي ذنباً فلا عليك إن تخلف عني حتى أتى رسول الله ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كن أبا خثعمة " . فقالوا : يا رسول الله هو والله أبو خثعمة . فلما أناخ أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أولى لك يا أبا خثعمة " ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير .

إن هذه الحادثة قد اشتملت على دروس وعظات وعبر منها : أن موضوع تعدد الزوجات الذي ينظر إليه البعض نظرة ازدراء واحتقار هذا من بعض المسلمين أما أعداء الإسلام فقد اتخذوا منه غرضاً للنيل من الإسلام والطعن فيه أقول إن موضوع تعدد الزوجات قد ظهر في هذه الحادثة بصورة مشرقة فتعدد الزوجات أمر قد شرعه العليم الحكيم العالم بمصالح عباده حيث قال : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) فقد أباح التعدد لمن وجد من نفسه القدرة على العدل بين الزوجات أما من علم من حال نفسه أنه لا يستطيع العدل والمرء فقيه نفسه وأدرى باله فبقاؤه بزوجة .

ففي تعدد الزوجات فوائد جمة ففيه تكثير للنسل وإمداد للمجتمع بالبنين الصالحين والبنات الصالحات إلى غير ذلك من الحكم والفوائد . فهذا أبو خثعمة قد كانت له زوجتان وكانت كل واحدة منهما تحرص كل الحرص على إسعاده وراحته وإدخال الأنس والطمأنينة إلى قلبه . وفي هذا رد على من يتصور أن تعدد الزوجات يجلب للرجل الشقاء والتعاسة وللأسرة القلق والاضطراب والتشتت والضياع . وصوروا من عدد بأنه خرج ولم يعد .

ومن الدروس والعظات والعبر في قصة أبي خثعمة أن المؤمن صادق الإيمان يحاسب نفسه على التقصير والتفريط ويصحح أخطاؤه . فأبو خثعمة الذي تربى في مدرسة الإيمان عندما تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى هذه الغزوة عندما رجع إلى زوجتيه ولحظ ما هيئا له من مكان بارد وظل ظليل ومتعة جسدية وراحة نفسية حاسب نفسه فما طاب له أن يتمتع بهذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر شاق وحر شديد ورياح لافحة مجاهداً في سبيل هذا الدين فاستيقظ ضميره وفاق من غفلته وآلى على نفسه أن يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فعل ونال الأجر وحظي بدعوة المصطفى حيث دعا له بخير . فالمؤمن دوماً يحاسب نفسه على التقصير ولا يستمر على الخطأ والتفريط قال تعالى : (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) ، وقال صلى الله عليه وسلم : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني " ، الكيس هو العاقل . ودان نفسه أي حاسبها فالعاقل هو الذي يحاسب ويكون خصماً لها مراقب لسيرها وهو في طريقه إلى الله عز وجل فينبغي لكل

مؤمن أن يجعل له أوقاتاً من ليل أو نهار يحاسب فيها نفسه ويستعرض فيها سيرته ليعرف مواطن الخطأ في أقواله وأفعاله ويتداركها بالتصحيح والتصويب . روى عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم " .

وفي هذه الحادثة علم من أعلام النبوة حيث قال صلى الله عليه وسلم عندما رأى أصحابه ركباً على الطريق مقبل " كن أبا خثعمة " فكان كما كان عليه الصلاة والسلام ومعجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة ومن أعظمها معجزة القرآن الخالدة التي ستبقى ما بقي للبشرية وجود على سطح الأرض . ومن الدروس أيضاً التي نتأملها في هذه الحادثة أسلوب المعلم مع طلابه حيث يربيهم على الصدق ويعلمهم ما ينفعهم وما يضرهم . لقد قال صلى الله عليه وسلم وهو المربي الماهر والمعلم الحصيف : " أولى لك يا أبا خثعمة " - أي أولى لك أن تصدقني الحديث – فقد كان رضي الله عنه صادقاً مع معلمه ومربيه، فبعد أن أخبره خبره ما قال له عليه الصلاة والسلام إلا خيراً ثم دعا له بخير.

فما أعظم الدروس في سيرة المصطفى وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم لمن تأملها وأمعن النظر فيها وفقنا الله للسير على نهجه صلى الله عليه وسلم والتزام هديه .

٣٧- عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :-

الحمد لله صاحب الفضل والإحسان والصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فمن أعلام التربية الإسلامية عبدالله بن عمر رضي الله عنهما تلقى تربيته في مدرسة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وكان حدث السن لا يتجاوز سنه سن شاب في المرحلة المتوسطة أسلم مع أبيه ولم يبلغ حينها الحلم وهاجر وعمره عشر سنين . وفي غزوة أحد أراد الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجزه لصغر سنه لقد كانوا رضي الله عنهم يتسابقون في فعل الصالحات ويستبقون في مضمار الجهاد ففي غزوة أحد أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خُديج ولم يجز سمرة بن جندب فقال يا رسول الله أجزت رافعاً وإني أصرعه فاصطرعا أمامه صلى الله عليه وسلم فأجازهما . هكذا تربوا على الجدية والجهاد في سبيل الله . لم يتربوا على الكسل والخمول والدعة والرفاهية والنوم والراحة كما هو حال الكثير من شباب اليوم ففترة الشباب هي فترة القوة والفتوة فإذا كانت العزائم خائرة والإرادات متقاعسة في هذه الفترة من العمر فإنه لن تقوم للأمة قائمة . وإنني أوصي الشباب أن يدرسوا سير الأبطال من سلف الأمة وبالذات من هم في سنهم فأين عبدالله بن عمر رضي الله عنهما إذ استصغره الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد لقد أجازه في الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فشهدها وما بعدها من غزوات ، وكان يتتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة

اقتدائه به وحبه له حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة وكان ابن عمر يتعاهدها ويصب في أصلها الماء . وكان رضي الله عنه يتوضأ لكل صلاة ، لأنه قد تلقى في مدرسة النبوة درساً في فضل الوضوء . فالوضوء وسيلة وشرط من شروط الصلاة وهو عبادة في ذاته فإذا توضأ العبد حطت خطاياه مع آخر قطرة الماء كما ورد بذلك الحديث بل إن ابن عمر رضي الله عنهما كان يبالغ في الوضوء ، لأن إسباغ الوضوء على المكاره من القربات التي حث عليها الإسلام ويروى أنه من مبلغته في الوضوء يدخل الماء في أصول عينيه ، وكان من شدة ورعه رضي الله عنه يرفض القضاء بين اثنين ، لقد أراده عثمان بن عفان أن يكون قاضياً فرفض ذلك وكذلك عمر أراده على القضاء فأبى وكل ذلك تورعاً منه وخوفه من مسؤولية القضاء ، وقد شهد الكثير من الفتوحات الإسلامية في عصر الخلافة الراشدة فشهد معركة اليرموك ومعركة القادسية والكثير من وقائع الفرس وشهد فتح مصر واختط بها داراً . ولقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يبلغ من العمر ثنتين وعشرين سنة ، وكان رضي الله عنه كثير الصدقة وينفق من ماله ما يحب وإذا المحبة شيء من ماله أنفقه في سبيل الله قربة إلى الله . وطلباً لمرضاته ، وكان عنده عبيد كثيرون وكان البعض يخادعه ويتظاهر أماه بالصلاح ولزوم المساجد حتى إذا أعجبه ذلك أعتقه لوجه الله وكان عبيده قد عرفوا ذلك منه فربما لزم أحدهم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال أعتق ، فقيل له إنهم يخدعونك . فيقول : من خدعنا لله انخدعنا له . ويروى أنه كانت له جارية يحبها كثيراً فأعتقها وزوجها لمولاه نافع وقال : إن الله تعالى يقول : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ، لقد كانوا يفهمون هذا المعنى ويتقربون بأحسن شيء لديهم وأحبه عندهم لأن الله ورسوله أحب إليهم من كل شيء . هذا ما تلقوه

من مدرسة الإيمان ، لقد اشترى مرة رضي الله عنه بعيراً فأعجبه فقال لمولاه نافع أدخله في إبل الصدقة ، ونافع مولاه أراد ابن جعفر شراءه منه فدفع فيه عشرة آلاف . لكن ابن عمر رفض هذا المبلغ وأعتقه لوجه الله تحقيقاً لمعنى هذه الآية فقال رضي الله عنه عندما دفع له هذا المبلغ : أو خير من ذلك ؟ هو حر لوجه الله . واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً فأعتقه فقال الغلام : يا مولاي قد أعتقتني فهب لي شيئاً أعيش به فأعطاه أربعين ألفاً . فاشترى مرة خمسة عبيد فقام يصلي فقاموا خلفه يصلون فقال لمن صليتم هذه الصلاة . فقالوا : لله، فقال : أنتم أحرار لمن صليتم له فأعتقهم . والمقصود أنه ما مات حتى أعتق ألف رقبة . هكذا كانوا يسخرون المال لطاعة الله لأنهم قد عرفوا من الدروس التي تلقوها من مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المال هو مال الله أعطاهم إياه وجعلهم مستخلفين فيه فعرفوا حق الله فيه أدوه طيبة بذلك نفوسهم فكان المال هذا مالاً صالحاً في أيدي صالحين . " نعم المال الصالح للرجل الصالح " وربما تصدق ابن عمر رضي الله عنهما في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً . وكان يكرم الأيتام والمساكين ويعطف عليهم وكان تمضي عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يذوق فيه لحماً إلا وبين يديه يتيم يفعل ذلك طلباً لمرضاة الله وعطفاً على الأيتام وشفقة بهم وهو يعلم جيداً أن خير البيوت بيتاً فيه يتيم يحسن إليه . وكان رضي الله عنه عفيفاً لا يطلب أحداً شيئاً ولكن إذا أعطي قال به هكذا وهكذا . وقد بعث إليه معاوية بمائة ألف فما حال عليها الحول وعنده منها شيء . وكان يقول إني لا أسأل أحداً شيئاً وما رزقني الله فلا أرده . ولكن سيرته مع المال تختلف عن سيرة من يجعله غايته وهدفه فقد أعطاه الله المال الكثير وسخره لخدمة الإسلام والمسلمين هذا هو حالهم وهذه هي سيرتهم شاهدة بذلك وهم بخلاف من يسعون في جمع المال وتكديسه ومنعهم

حق الله فيه فإن هؤلاء هم أهل الدنيا وعبيدها " تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميلة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش " ، أما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد انقادت لهم الدنيا وجثت بين أرجلهم وأعطتهم الكثير من خيراتها لكنهم استعملوها مطية إلى الله ، وسخروها في مرضاة الله ، فكانوا أكبر من الدنيا وعلموا أنها خضرة حلوة ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم . هكذا كانت سيرتهم وهكذا أسلوب تعاملهم مع الدنيا وبجانب ما نال ابن عمر رضي الله عنهما من حطام الدنيا كان له النصيب الأوفى من العلم ، وقد روى الكثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أعلم الناس بمناسك الحج وكان كثير العبادة ومكث ستين سنة يفتي الناس ، وكان يقوم أكثر الليل رضي الله عنه . هكذا كانوا رضوان الله عليهم وهذه سيرتهم من أجل ذلك بنوا جيلاً فريداً في تاريخ البشرية فمن أراد اللحاق بهم فليسلك مسلكهم ويسير على نهجهم رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة مستقرهم ومثواهم وجمعنا بهم في دار مقامه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

٣٨- عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فإننا سنتحدث عن علم من أعلام التربية الإسلامية تلقى تربيته وتعليمه منذ نعومة أظفاره في مدرسة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم . وتربى في أول حضن من محاضن التربية الإسلامية إنه عبدالله بن الزبير أول مولود في الإسلام ولدته أمه أسماء رضي الله عنها بقباء عند مقدمها المدينة في شهر شوال في السنة الثانية من الهجرة . ولقد أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بثمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم دعا له بعد أن حنكة وتبرك عليه . فالتحنيك للمولود ممن هو مشهود له بالخير والصلاح فهو من باب التيمن من أن يكون المولود صالحاً تقياً . وجده الصديق رضي الله عنه أذن في أذنه حين ولد لأن التأذين في أذن المولود يوقظ الفطرة لديه التي فطره الله عليها : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ، قال تعالى : (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ، ولقد ظهرت علامات الشجاعة والثقة بالنفس والاعتزاز بها في غير تكبر ولا علو في الأرض في شخصية عبدالله بن الزبير ولقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يبايع بعض الشباب الذين ترعرعوا منهم عبدالله بن جعفر. وعبد الله بن الزبير وعمر بن أبي سلمة . فقيل : يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون لهم ذكر فأتي بهم إليه فكأنهم تكعكعوا أي جبنوا وخافوا واقتحم

عبد الله بن الزبير فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " إنه ابن أبيه " وكان يلعب مرة مع صبيان المدينة في شارع من شوارعها ومر بهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنهم فهربوا كلهم إلا عبدالله بن الزبير لم يهرب بل مكث في مكانه يلعب فمر به عمر فقال : لم لم تهرب معهم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لم تكن الطريق ضيقة . ولست بمذنب فلماذا أهرب ؟ . نعم إنها الشجاعة والثقة بالنفس والاعتزاز بالشخصية ولقد كان رضي الله عنه وهو شاب يافع يعرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدره ويضعه في السويداء من قلبه فهو رسوله ونبيه وأستاذه ومربيه فكان صلى الله عليه وسلم قد احتجم في طست فأعطاه إياه ليريقه وقال له : يا عبدالله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد فلما بعد عمد إلى ذلك الدم فشربه . فلما رجع قال : " ما صنعت بالدم ؟ " قال : إني شربته لأزداد به علماً وإيماناً وليكن شيء من جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم في جسدي ، وجسدي أولى به من الأرض . فقال : " أبشر لا تمسك النار أبداً ، وويل لك من الناس وويل للناس منك " . نعم إنها النبوة الحقة حيث يبشره بهذه البشارة وألمح له بأنه ستكون بينه وبين الناس أمور ، وقد حصل هذا فحربه مع الحجاج وصموده أمامه وقتله وصلبه يؤكد هذه النبوة . لقد صلبه الحجاج بن يوسف في شجرة بالبطحاء وأقسم أن لا يكفه أحد حتى تشفع فيه أمه أسماء ، لكنها رفضت أن تستجدي الطاغية أو تطلب إليه ذلك وذهبت إلى ابنها المصلوب وكانت كفيفة البصر فتحسست جسد ابنها المصلوب بيدها وقالت : " أما آن لهذا الفارس أن يترجل ورأى الحجاج أن هذا الموقف كاف لينهي صلبه ويأمر بدفنه رضي الله عن عبدالله بن الزبير وضمه في زمرة الشهداء فقد كان صواماً قواماً كثير الخشوع في صلاته فإذا وقف في مصلاه تظهر عليه علامات الخشوع .

عن ثابت البناني قال : كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك . وعن يحي بن وثاب قال : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا أصل حائط . وكان رضي الله عنه يقوم ليلة حتى يصبح ويركع ليلة حتى يصبح ويسجد ليلة حتى يصبح . وقال بعضهم ممن عاصروه وشاهدوا عبادته ركع يوماً وقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه . إن خشوعه في الصلاة تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه ، ولقد امتدح الله عز وجل الذين يخشعون في صلاتهم فقال في معرض وصفهم (والذين في صلاتهم خاشعون) والخشوع في الصلاة يكون بخشوع القلب والجوارح أما إن لم تخشع الجوارح فالقلب ليس بخاشع ولقد رأى بعض السلف يكثر الحركة في صلاته فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه . ولقد سأل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ابن أبي مليكة فقال : صف لنا عبدالله بن الزبير . فقال : [والله ما رأيت جلداً قط ركب على لحم ولا لحماً على عصب ولا عصباً على عظم مثله ولا رأيت نفساً ركبت بين جنبين بين نفسه ولقد مرت آجرة من رمي المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع ولا قطع لها قراءته ولا ركع دون ما كان يركع وكان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها . ولقد كان يركع ويكاد الرخم أن يقع على ظهره ، ويسجد وكأنه ثوب مطروح] ، ولقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ابن الزبير رضي الله عنه فقال : [كان قارئاً لكتاب الله متبعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قانتاً لله صائماً في الهواجر من مخافة الله] ابن حواري رسول الله ، وأمه بنت الصديق رضي الله عنهما وخالته عائشة حبيبة حبيب الله زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله فقد جمع الخير من

كل أطرافه فهذه أسرته وهؤلاء من ينتسب إليهم فالخير منهم وإليهم لذلك نشأ صواماً قواماً خاشعاً لله مؤمناً به مطمئناً بجنابه معتمداً عليه ، كان يواصل الصوم سبعاً ويصوم يوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة ويصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة وإذا دخل في صلاته لا يشغله شيء عنها .. روي أنه كان يوماً يصلي فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن ابنه هاشم فصرخ النسوة وانزعج أهل البيت واجتمعوا على قتل تلك الحية فقتلوها وسلم الولد . فعلوا ذلك كله وابن الزبير لم يلتفت ولا درى بما جرى حتى سلم . وكان لا يتنازع في ثلاث في العبادة والشجاعة والفصاحة . وقد ثبت أن عثمان جعله أحد الذين قاموا بنسخ المصحف وذكره سعيد بن المسيب في خطباء الإسلام وكان صيتاً إذا خطب تجاوبت معه الجبال . هذه سيرته التي تلقى معالم تربيتها في مدرسة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فرضي الله عن عبدالله بن الزبير وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم كالنجوم التي يهتدى بها وجعلنا ممن يترسم خطاهم ويبحث عن معالم سيرتهم لتكون نبراساً يضيء الطريق لعمل صالح متقبل إنه ولي ذلك والقادر عليه .

٣٩- أبو عبدالله البخاري رحمه الله :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فلا يزال الحديث موصولاً عن العالم الجليل الذي ألف أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل إنه الإمام أبو عبدالله البخاري رحمه الله . ولقد آتاه الله عز وجل ذاكرة قوية وحافظة متميزة وهو لا يزال في بداية الطلب والتحصيل فكان غيره من طلاب العلم يكتبون الأحاديث ويدونونها خوفاً من نسيانها وكان يجلس معهم ولا يكتب لكنه يحفظ مالا يحفظون ويعي من العلم مالا يعون . قال محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان كان أبو عبدالله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فكنا نقول له . إنك تختلف معنا ولا تكتب فما تصنع ؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً : إنكما قد أكثرتما علي وألححتما ، فأعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ، ثم قال : أترون أني أختلف هدراً وأضيع أيامي ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .

أرأيت أخي المسلم كيف تكون الهمم العالية والطموحات العظيمة في طلب العلم وتحصيله من شباب الأمة الإسلامية كيف أنهم يستبقون إلى المشايخ ويزدحمون في حلقات العلم ويتسابقون في الكتابة ويتنافسون في الحفظ والاستظهار وقد ظهرت الفروق الفردية بينهم في أوضح صورها فمنهم قوي الذاكرة قوي الحفظ تسعفه ذاكرته وتعينه حافظته

أن يستوعب ما يلقى إليه من العلوم والمعارف كالبخاري رحمه الله ، ومنهم من هو أقل في الذاكرة والحفظ ولكنه يعوض ذلك بالتدوين والكتابة فالعلم صيد والكتابة قيد . وكلهم كان حريصاً على الوقت والاستفادة منه . فهؤلاء استغربوا من ترداد البخاري رحمه الله على العلماء والمشايخ دون أن يكتب شيئاً فظنوا أن هذا منه ضياعاً للوقت وإهداراً للزمن دون فائدة فسألوه وألحوا عليه ، فأوضح لهم حاله ومقدرته على حفظ العلوم واستظهارها ثم سألهم سؤال استنكار : أترون أني أختلف هدراً وأضيع أيامي ؟ . لا والله . لم يكن الوقت الذي يقضيه عند المشايخ والعلماء هدراً ولم يضيع شيئاً من أيامه في غفلة ولهو ومجون وما خلفه من العلم النافع دليل قاطع على جهوده الموفقة وحياته المباركة يرحمه الله .

إن المسلم يحرص كل الحرص على الاستفادة من وقته وتوجيه هذا الوقت فيما يخدم دينه ودنياه فالوقت هو الحياة . فحري بك طالب العلم أن تأخذ من سيرة هؤلاء الأفذاذ دروساً وعبراً وتتعرف على الطريقة المثلى في طلب العلم . وأهمية الجد والمثابرة في تحصيله ، ولقد كان الواحد من سلفنا يعتبر مشعل خير وهداية ينير بعلمه الطريق للناس ويدلهم على طريق الهدى والفلاح والناس إذا وجدوا مثال هذه النماذج يجلونها ويقدرونها ويعرفون لها مكانتها ويحققون لها منزلتها ويستفيدون منها الاستفادة القصوى ولقد عرف الناس عن الإمام البخاري المكانة العلمية المرموقة ويحرصون على الإفادة العلمية منه فقد كان من أهل المعرفة من البصيرين يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه الوفد وأكثرهم ممن يكتب عنه وكان شاب لم يخرج وجهه أي لم ينبت الشعر في وجهه لصغر سنة .

أرأيت الرغبة الملحة من جماهير الناس في كسب العلم وتحصيله والاستفادة القصوى من الكفاءات العلمية من كل وقت وحين إنهم ما فعلوا ذلك إلا بعد أن رأوا البخاري رحمه الله ذا مكانة علمية مرموقة اكتشفوا ذلك من خلال المواقف التي أثبت فيها رحمه الله غزارة علمه ورجاحة عقله ونفاذ فكره . فعندما قدم بغداد وسمع أصحاب الحديث أرادوا اختباره فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد هذا وإسناد هذا لمتن هذا ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس فاجتمع الناس وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرة ، فقال : لا أعرفه وسأله عن آخر فقال : لا أعرفه وكذلك حتى فرغ من عشرته . فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقول الرجل فهم . ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز . ثم انتدب آخر ففعل كما فعل الأول ، والبخاري يقول لا أعرفه . ثم الثالث إلى تمام العشرة . وهو لا يزيدهم على قول لا أعرفه فلم علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول كذا والثاني كذا والثالث كذا إلى العشرة فرد كل متن إلى إسناده وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ .

أخي طالب العلم إن وقوفك على سيرة هؤلاء الأعلام تعمق ثقتك بهم وتدفعك على أن تسير على نهجهم وتسلك مسلكهم . فالخير كل الخير في الاستفادة من سيرتهم ومعرفة المعالم الخيرة في حياتهم وحياتهم كلها خير . فما أحوج الأجيال الصاعدة إلى دراسة تاريخهم . فرحمهم الله رحمة واسعة وأجزل لهم المثوبة على ما قدموا من علوم ومعارف وتراث علمي عظيم ننعم بما فيه من خير .. جعلنا الله هداة مهتدين والحمد لله رب العالمين .

٤٠- أبو عبدالله البخاري رحمه الله :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فإن معين التربية الإسلامية الذي لا ينضب قد نهل منه أعلام التربية في الإسلام وأفادوا واستفادوا منه فهم من الكثرة حيث يفوقون الحصر والعد . ونتعرض هنا لسيرة بعضهم لنأخذ منها الدرس والعظة والعبرة ونرسم خطى هؤلاء ونستفيد منهم في تربيتنا المعاصرة فمن هؤلاء الأعلام علم وقد عرف في أوساط المتعلمين والعلماء العاملين وطلاب العلم المجتهدين عرف بجهوده العلمية الرائعة وخدمته للسنة المحمدية المطهرة فقد خدم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنف في أحاديثه أصح كتاب بعد الله عز وجل حيث عرف بجامعه الصحيح إن الإمام البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم . لقد تلقى العلم الشرعي منذ نعومة أظفاره فسئل رحمه الله عن كيفية بدئه طلب العلم عن محمد بن أبي حاتم قال : قلت لأبي عبدالله كيف كان بدء أمرك ؟ ، قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. فقلت : كم كان سنك ؟ فقال : عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ، فقلت : إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم . فانتهرني فقلت له : ارجع إلى الأصل . فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال : كيف هو يا غلام . قلت : هو الزبير بن عدي عن إبراهيم فأخذ القلم مني وأحكم كتابه وقال : صدقت . فقيل للبخاري : ابن كم أنت حين رددت عليه ؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة .

أخي المسلم إن سن العاشرة هو سن طالب في الصف الرابع الابتدائي فانظر أخي المسلم إلى هذه الهمة العالية وهذه العناية الفائقة لطلب العلم وتحصيله إنها همة تقصر عن نيلها كثير من همم الرجال اليوم ، إن هذه المكانة العلمية قد بوأته منزلة بين العلماء الأفذاذ وهيأته للرد على الأخطاء العلمية فكان يتحلى بالأمانة العلمية التي ألبسته جرأة في المناقشة والرد ولقد كان العلمي الذي تهيؤه التربية الإسلامية يوجد به الكبير والصغير ، فهذا ما يقصد به التكافؤ في طلب العلم وتحصيله كما أن روح الأمانة العلمية سائدة في هذه الأجواء التعليمية فعندما رد البخاري رحمه الله وهو الحادية عشرة من سنه على عالم من العلماء ، فما كان من هذا العالم إلا أن يتثبت من صحة المعلومة ويتأكد من تمكن البخاري من علمه فما كان منه إلا تصديقه له أمام الطلاب وفي حلقة العلم ، ألا ما أعظم هذه النفوس التي ربتها التربية الإسلامية ووجهتها التعليمات المحمدية وأصبحوا كباراً في ميزان الله وأصبحوا كباراً عند البشر بما تحلوا به من علم وصدق وأمانة .

لقد كان الإمام البخاري رحمه الله بجانب طلبه للعلم يسلك مسلك التأليف والتصنيف وهو في الثامنة عشرة من عمره قال : جعلت أصنف أقوال الصحابة والتابعين وأقاويلهم . إن هذه الدراسة التاريخية جعلته رحمه الله على التصاق دائم بتاريخ السلف الصالح . فدراسة سيرتهم يعطينا الدليل على أن ما هم فيه من خير وصلاح هو بسبب اتباعهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد سعدوا بذلك في الدنيا وحازوا رضا الله بنشر هذا الدين وتعليم هذا العلم . وإذا أردنا الصلاح لأنفسنا وكنا حريصين على السعادة في الدارين فما أمامنا إلا أن نسلك مسلكهم ونقتفي أثرهم ونترسم خطاهم فإنه لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها .

ولقد كان الإمام البخاري رحمه الله يختلف إلى الفقهاء والعلماء ببلاد مرو وكان لصغر سنه يستحي أن يسلم عليهم فيقول وهو يحكي طرفاً من حياته العلمية ونشاطه في صباه وهو يجري في طلب العلم ويتنقل بين الفقهاء : كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم فقال لي مؤدب من أهلها كم كتبت اليوم ؟ فقلت : اثنين وأردت بذلك حديثين فضحك من حضر المجلس . فقال شيخ منهم : لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوماً . وإنه لم تخطئ فراسة هذا الشيخ في البخاري رحمه الله . ولقد كان فيما بعد علماً من الأعلام الذين يشار إليهم بالبنان . ولقد ألف كتابه القيم وأخلص النية لله وتوخى في أحاديثه الصحة وتوجه به إلى الله عز وجل مخلصاً النية لله عز وجل واضعاً نصب عينيه خدمة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول رحمه الله : " ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين . ويقول أيضاً : ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح لكنه لم يحص في كتابه هذا جميع الصحاح من الأحاديث بل ترك الكثير منها حتى لا يطول ، كتابه وقد قرر هذا بقوله : وتركت من الصحاح حتى لا يطول الكتاب فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة على ما قدم من علم وما بذل من خدمة لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

٤١- الإمام مالك بن أنس رحمه الله :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

ومع علم من أعلام التربية في الإسلام ألا وهو الإمام مالك بن أنس رحمه الله . ولد سنة ٩٣هـ عاش في المدينة ولم يتحول عنها حتى توفي بها سنة ١٧٩هـ تلقى الفقه والسنة عن شيوخ كثيرين منهم : عبد الرحمن بن هرمز ، ومحمد بن سلم بن شهاب الزهري ، وقد أخذ عنه الحديث والفقه الأثر وفتاوى الصحابة ، وأبو محمد الزناد عبدالله بن ذكوان الملقب بأبي الزناد ، وقد أخذ عنه الحديث ، ويحي بن سعيد وأخذ عنه فقه الرأي وعلم الرواية ، وربيعة بن عبد الرحمن وقد تلقى عنه فقه الرأي إذ كان مشهوراً فيه حتى سمي بربيعة الرأي . كما أخذ من غير هؤلاء كجعفر بن محمد الباقر ، ولكن أكثر الشيوخ تأثيراً فيه ابن شهاب الزهري وربيعة الرأي .

ولما كمل تحصيله العلمي واستوعب فقه أهل المدينة جلس للإفتاء والتدريس بعد أن شهد له بالأهلية سبعون رجلاً من أكابر الفقهاء . ذكر ابن كثير في البداية والنهاية هذا بقوله : [قال مالك : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك] ، ومن هؤلاء من أخذ عنهم الفقه وكان متحرجاً من الفتيا . وكان يقول في المسائل التي يسأل عنها كثيراً : [لا أدري] ، يقول ابن رجب روي عن مالك أنه كان إذا سئل عن مسألة كأنه بين الجنة والنار . وهكذا كان حال السلف من العلماء الربانيين لا يتجرءون على الفتيا بل يتريثون على الفتيا خوفاً من الله عز جل أن يقولوا بلا علم وهم العلماء الأفذاذ ، وكان كل واحد منهم

يتمنى لو كفاه مؤونة الفتيا غيره ، لأنهم يعلمون : أن أجرأ الناس على الفتيا أجرأهم على النار عياذاً بالله منها . يصف ابن كثير رحمه الله حال مالك عندما يريد الحديث فيقول : [كان إذا أراد أن يحدث تنظف وتطيب وسرح لحيته ولبس أحسن ثيابه وكان يلبس حسناً].

فالمربي المعلم قدوة في سمته ومظهره ومخرجه وهو مكان القدوة للتلاميذ وكان منزله مفروشاً بأنواع البسط والمفارش . وكان ذكر الله عز وجل لا يفارق لسانه فكان إذا دخل منزله قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . وما كان يتحدث فيما لا يفيد وإن كان يعلمه ، ويقول : ما كل ما يعلم يقال . ويقول أيضاً : ليس كل أحد يقدر على الاعتذار . وكان أول حياته يفتي ويدرس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتحول عنه حتى إن الرشيد لما جاء للحج طلب منه أن يأتيه ليسمع منه إبناه الأمين والمأمون فأبى الإمام مالك ، وقال له : أعز الله أمير المؤمنين إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم أعززتموه عزّ وإن أنتم أذللتموه ذل ،والعلم يؤتى ولا يأتي . فقال هارون الرشيد : صدقت . وأمر ابنيه بالخروج إلى المسجد ليسمعا مع الناس فقال مالك : شريطة أن لا يتخطيا رقاب الناس ويجلسا حيث ينتهي بهم المجلس فحضرا بهذا الشرط .

وهكذا كان الإمام مالك عزيز النفس يعرف قدر العلم الذي يحمله ، ويعلم أن العلم في الإسلام حق للجميع . والمربي لا يفرق بين غني وفقير وأمير وغيره ، وهذا ما يسمى بمبدأ تكافؤ الفرص الذي طبق في الإسلام في أسمى الأشكال والصور .

ولقد انتقل مالك رحمه الله إلى بيته يدرس ويفتي عندما مرض بسلس البول ، وكان في تدريسه سواء في المسجد أو في البيت ينهج الطريق الإلقائية الخالية من المناقشة والحوار وتبادل الرأي والجدال مع التلاميذ خلافاً لطريقة أبي حنيفة في التدريس . ولهذا لم يحفظ

خلاف بينه وبين تلاميذه في حياته وإن نقلت عنهم أقوال مخالفة لبعض ما ذهب إليه بعد وفاته ، وكان تلاميذه يدونون ما يروي لهم من أحاديث وآثار وما يقوله من فتاوى في المسائل التي تعرض عليه ، وما كان ينهاهم ولا يأمرهم وإن كان بعض الأحيان ينهاهم عن تدوين كل ما يقوله من فتاوى . وكان حريصاً أن لا يجيب إلا عن المسائل الواقعة فعلاً. وكان يتورع عن الفتوى . وكان ينفر من الفقه الافتراضي أي عن المسائل التي لم تقع . حتى إن بعض تلاميذه إذا أراد أن يسأل عن مسألة لم تقع دفع إليه أحد الناس يسأله عنها كأنها حادثة واقعة .

ولمذهب مالك رحمه الله أصول وهي كما صرح بذلك هو نفسه أو استنبطه فقهاء المذهب من الفروع المنقولة عنه والآراء المدونة في موطأه . وهي كما صرح بها الإمام القرافي المالكي : الكتاب والسنة والإجماع . وإجماع أهل المدينة ، والقياس ، وقول الصحابي ، والمصلحة المرسلة ، والعرف والعادة ، وسد الذرائع ، والاستحسان ، والاستصحاب . وهذا يدل على خصوبة المذهب المالكي وسعته وإمكان تخريج الأحكام على أصوله الملائمة لكل عصر وكان لاسيما على أصل المصلحة المرسلة الذي سيطر على جميع فقه مالك في كل المسائل التي لا نص فيها .

أقام الإمام مالك في المدينة ولم يتحول عنها حتى أنه لما طلب منه الرشيد الخروج معه إلى بغداد أبى عليه ذلك مفضلاً البقاء في جوار النبي صلى الله عليه وسلم على بغداد وغيرها ، وكان لملازمته المدينة وطول عمره المبارك وانتهاء رياسة الفقه في المدينة إليه تأثيراً كبيراً في الوافدين عليه .

فقد قصده طلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية من مصر والشام والعراق وشمال أفريقية والأندلس ولازموه وأخذوه عنه ، ورأوا في هذه الملازمة تحصيلاً للعلم من أهله ومجاورة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان تلاميذه كثيرين جداً نشروا فقهه في أوطانهم لاسيما في مصر وشمال أفريقية والأندلس ومن تلاميذه وهم فقهاء كبار عبدالله بن وهب لازم مالكاً عشرين سنة ونشر مذهبه في مصر والمغرب وتوفي سنة ١٩٧هـ. وكان الإمام مالك يجله ويحترمه حتى أنه كان يكتب إليه وهو في مصر ، ويلقبه بفقيه مصر ، وعبد الرحمن بن القاسم المصري وكان له أثر بالغ في تدوين مذهب مالك ، صحب شيخه نحواً من عشرين سنة وروى عنه الموطأ ، وروايته للموطأ تعدّ أصح رواية وتوفي سنة ١٩٢هـ . ومنهم أبو الحسن القرطبي المتوفى سنة ١٩٣هـ أخذ الموطأ عن مالك سماعاً ونشره في الأندلس . ومنهم أسد بن فرات وهو من أهل تونس مات مجاهداً على رأس جيش في صقلية ، وغير هؤلاء كثير .

رحم الله الإمام مالك بن أنس الذي كان علماً من أعلام الإسلام وأحد العلماء الربانيين والمربيين الأفذاذ تلقى هذا العلم من مشكاة النبوة وقام بحقه ونشره بين الناس . وأثار العقول والأفكار بما كان يطرح في مجلسه من درس وفقه وعلم ، ورحم الله علماءنا الأجلاء الذين يعتبرون بحق أعلاماً في التربية الإسلامية خدموا هذا الدين ونشروا العلم الشرعي الذي تلقوه من الكتاب والسنة والذي عاش به وله ونشروه بين الناس فأناروا العقول والأفكار وربوا النفوس وهذبوا الأخلاق فجزاهم الله عنا خير الجزاء ، وأجزل لهم المثوبة وجعل ما قدموا في ميزان أعمالهم يوم القيامة ، ووفقنا للسير على منوالهم وترسم خطاهم ، وجعلنا هداة مهتدين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

٤٢- شريح بن الحارث الكندي رحمه الله :-

الحمد لله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فلنا وقفة مع علم من أعلام الإسلام من قضاة المسلمين تخرج من مدرسة النبوة ونهل من معين التربية الإسلامية سطر بسيرته العطرة ومواقفه الفذة صفحات خالدة في القضاء والتربية والتوجيه إنه شريح القاضي . فهو رجل يمني الموطن كندي العشيرة اسمه شريح بن الحارث الكندي ، قضى شطراً من حياته في الجاهلية ثم اعتنق الإسلام وبعد أن تمكن الإسلام من سويداء قلبه أراد أن يحصل له الشرف بملاقاة الرسول صلى الله عليه وسلم ويحظى بشرف صحبته بعد أن حظي بنعمة الإيمان فيكون بذلك قد جمع الخير من أطرافه ولكن ما قدره الله كائن لا محالة .

ولقد اكتشف عمر رضي الله عنه بفطنته النادرة ومعرفته الفائقة بالرجال قدرة شريح على القيام بتبعات القضاء بعد أن حصل له موقف مع رجل ابتاع منه فرساً ودفع له ثمنه ثم بعد أن امتطى صهوته ومضى به ظهر له عيب في الفرس فعاد أدراجه يبحث عن الرجل فعندما وجده قال له خذ فرسك فإنه معطوب فقال الرجل : لا آخذه يا أمير المؤمنين . فقال عمر : اجعل بيني وبينك حكماً . فقال الرجل يحكم بيننا شريح . فقال عمر : رضيت به . فاحتكما إليه فسمع مقالة الأعرابي ثم التفت إلى عمر رضي الله عنه فقال له : هل أخذت الفرس سليماً يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعم . فقال شريح احتفظ بما اشتريت يا أمير المؤمنين أو رد كما أخذت . فنظر عمر إلى شريح معجباً وقال : وهل القضاء إلا

هكذا ؟! قول فصل وحكم عدل . سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها . يظهر من هذه الحادثة تواضع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حيث ذهب لشراء الفرس بنفسه وابتاعه من رجل أعرابي . ثم قبلوه للحكم الشرعي وعدم رده . لأنه قد تعلم درساً في مدرسة محمد بن عبدالله عن الكبر وأنه بطر الحق وغمط الناس بطر الحق رده وغمط الناس احتقار الناس لذلك فقد وعى الدرس وطبقه في سيرته وحياته وعندما حكم عليه القاضي وهو أمير المؤمنين لم يشطط غضباً ولم يول ظهره للحق بل رضي به وسلم وأثنى على حكم العدل فكافأه بقضائه وأوضح أن قوله هو قول الفصل وأن حكمه هو حكم العدل فكافأه على ذلك بأن ولاه قضاء الكوفة وأكرم المسلمين بهذا العدل . كما يؤخذ من هذه الحادثة أن الإسلام لا يوجد الطبقية بين الأفراد فلا فرق في الإسلام بين الحاكم والمحكوم ولا بين القوي والضعيف فكلهم أمام الحق سواء ولا يتمايزون إلا في المهام التي قوم بها كل فرد في هذا المجتمع فكل مسلم على ثغرة من ثغور الإسلام ويؤخذ من هذه الحادثة أن الرجوع إلى الحق فضيلة وأن المبدأ الذي كان يعمله عمر لولاته وهو يوجههم إلى الأمصار ويحثهم على اتباع الحق وينهاهم عن التمادي في الباطل حيث يقول : " الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل " ، هذا هو المبدأ قد طبقه عمر في سيرته وسلوكه حتى يتطابق لسان الحال مع لسان المقال . إن التربية الإسلامية التي توجد نماذج من هؤلاء الرجال قادرة على إيجاد مثلهم في كل مكان وزمان إذا انتقلت مبادئها من مجال النظرية إلى مجال التطبيق . وإنه لمن المفيد جداً أخذ الدروس والعظات والعبر من مواقف سلفنا وسيرتهم العطرة وأخلاقهم الجميلة وحياتهم السعيدة التي عاشوها ، كما يؤخذ من الحادثة أن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب أمر يحث عليه الإسلام وتدعو إليه

المصلحة العامة حتى تستقيم شؤون الناس فأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عندما ظهرت له مقدرة شريح على إقامة العدل ولاه القضاء وهو أحد التابعين على الرغم من وجود الكثير من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . فما أخطأت فراسة عمر فقد ضل شريح يقضي بين المسلمين بالعدل الذي تربى عليه نحواً من ستين عاماً لا يفرق بين قريب وبعيد ولا بين كبير وصغير ولا بين أمير وغيره وشعاره العدل .

وقد امتلأت بطون الكتب بطرائفه وأخباره وأقواله وأفعاله . فمن ذلك أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه افتقد درعه . وما لبث أن وجدها بيد يهودي يريد بيعها في السوق فقال له هذه درعي . فقال اليهودي : بل هي درعي يا أمير المؤمنين . وترافعا إلى شريح فقال أمير المؤمنين : إن هذه درعي سقطت مني في ليلة كذا وفي مكان كذا . فقال شريح لليهودي : ما تقول أيها الرجل ؟ فقال : الدرع درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب . فالتفت شريح إلى علي رضي الله عنه . وقال : لا ريب عندي في أنك صادق فيما تقول يا أمير المؤمنين . ولكن لابد لك من شاهدين يشهدان على أن الدرع درعك . فقال علي : نعم ، مولاي قنبر وولدي الحسين يشهدان لي . فقال شريح : ولكن شهادة الابن لأبيه لا تجوز يا أمير المؤمنين . عند ذلك التفت على اليهودي وقال : خذها فليس عندي شاهد غيرهما . عندئذ قال اليهودي : لكني أشهد بأن الدرع لك يا أمير المؤمنين . ثم قال : بالله يا أمير المؤمنين يقاضيني أمام قاضيه ويقضي عليه أشهد أن الدين الذي يأمر بهذا لحق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، اعلم أيها القاضي أن الدرع درع أمير المؤمنين . فقال له أمير المؤمنين : أما وإنك قد أسلمت فإني قد وهبتها لك .

وفي هذا الموقف بعض الدروس منها : عظم القضاء في الإسلام وأن من يتولاه ينبغي أن يتحرى العدل والصدق والأمانة فلا يحابي أحداً ولا يجوز بل يكون شعاره العدل كما أن الدعوة إلى الإسلام تكون بلسان الحال ولسان المقال لكن لسان الحال أقوى فعندما يرى الناس عظمة هذا الدين فإنهم سيعتنقون الإسلام فهذا اليهودي ما إن رأى العدل واقعاً حقيقياً لا شعاراً مزيفاً وألفاظاً جوفاء حتى بادر إلى الإسلام واعتنقه طواعية وبقناعة تامة فحسن إسلامه ولم يمض زمن طويل حتى شوهد يقاتل الخوارج تحت راية علي رضي الله عنه ويبلي بلاء في الجهاد في سبيل الله حتى استشهد وفاز بالربح والغنيمة والشهادة في سبيل الله .

وإن شريحاً لم يكن بارزاً في مجال القضاء فحسب بل كانت له وقفات تربوية أظهرت مهارته في فن التربية وأهدافها وأساليبها روى أنه كان له صبي في العاشرة من عمره مولعاً باللعب فافتقده يوماً فإذا به قد ترك الدرس وذهب يهرول خلف الكلاب . فعندما عاد إلى المنزل سأله : أصليت فقال : لا . فأخذ ورقة وقلماً وكتب إلى مؤدبه فقال :

ترك الصلاة لأكلب يسعى لها ... يبقي الهراش مع الفواه الرجس

فلا يأتينك غدوة بصحيفة ... كتبت له كصحيفة المتلمس

فإذا أتاك فداوه بملامة ... أوعظه موعظة الأديب الأكيس

فإذا هممت بضربه فبدرة ... وإذا بلغت ثلاثة لك فاحبس

واعلم بأنك ما أتيت فنفس ... مع ما يجرعني أعز الأنفس

رحم الله شريحاً وأجزل له المثوبة فقد كان علماً من أعلام الإسلام تميز بفطنته وذكائه وعدله وأمانته .

٤٣- عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فإن للتربية الإسلامية إعلاماً تميز كل واحد منهم بخصائص وصفات أهلته لأن تكون له مساهمات تربوية هامة أفاد الله بها خلقاً كثيراً العد . نهلوا من معينها الذي لا بنصب سمات تربوية فريدة في النظم التربوية ولنا في هذه الوقفة مع علم من هؤلاء الأعلام إنه الشيخ الإمام العالم الزاهد القدوة الفقهية عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي ولد بجماعيل سنة ٥٤٢ وهاجروا به سنة ٥٥١ وله ثمان سنين ، قال الضياء كان يجلس في جامع البلد من الفجر إلى العشاء لا يخرج إلا لحاجة يقرئ القرآن والعلم فإذا فرغوا اشتغل بالصلاة .. فالمسجد هو المؤسسة التربوية الهامة تخرج منه العلماء الأفذاذ والمربون الربانيون ولقد كان ولازال يمارس نشاطه التربوي فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي شارك في بنائه النبي الحبيب والرسول الكريم والمربي الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام كان مشعل هداية للأمة يحرج الصحب منه الكرام الذين وصفوا بأنهم خير الأمم . وكنتم خير أمة أخرجت للناس . ثم انتشرت المساجد بانتشار المسلمين في بقاع الأرض ولقد عرف السلف أهمية رسالة المسجد فكانوا يمارسون فيه النشاط التربوي والتعليمي وهذا عماد الدين يجلس في الجامع من الفجر إلى العشاء يعلم الناس العلم ويقرؤهم كتاب الله عز وجل ، وإذا فرغ من ذلك اشتغل بالصلاة وكان كما وصفه الشيخ موفق الدين من خيار أصحابنا وأعظمهم نفعاً وأشدهم ورعاً وأكثرهم صبراً

على التعليم وكان داعية إلى السنة يعلم الفقراء ويقرؤهم ويطعمهم ويتواضع لهم كان من أكثر الناس تواضعاً واحتقاراً لنفسه وخوفاً من الله . ما أعلم أني رأيت أشد خوفاً منه وكان كثير الدعاء والسؤال لله ، يطيل الركوع والسجود . ولا يقبل ممن يفز له ، ونقلت له كرامات .. أهم الصفات التي هيأته لهذه الرسالة العظيمة رسالة التربية والتعليم إنه من خيار الناس يتحلى بالورع ، كثير الصبر على التعليم ، وهكذا المعلم ينبغي أن يكون في أخلاقه قدوة يتورع عما في أيدي الناس ويصبر على تعليم الجاهل ويحتسب أجره على الله ، كان رحمه الله داعية إلى السنة بعيداً عن البدعة وهكذا المربي المسلم . فهو متبع لا مبتدع يدعو إلى الله ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهج نهجه ويترسم خطاه وكان عماد الدين رحمه الله يحرص على تعليم الفقراء ويقرؤهم كتاب الله ويطعمهم ويتواضع لهم إن مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم قد تحقق في ظل التربية الإسلامية في أزهى صوره ، فالتعليم حق مشاع للجميع دون تفريق بين صغير وكبير وغني وفقير وذكر وأنثى ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم . فمن هذا المنطلق كان العلماء المسلمون يجتمع في مجالس علمهم كافة طبقات الأمة وزيادة على ذلك ، فكان عماد الدين بجانب تعليمه لهؤلاء الفقراء يصنع لهم الطعام ويتواضع لهم وكان من صفاته التواضع واحتقاره لنفسه وخوفه من الله وخشيته منه وكان كثير التضرع إلى الله ودعائه سبحانه وتعالى . كثير الخشوع في الصلاة يطيل ركوعها وسجودها ، ألا ما أعظمها من صفات وأجلها من شيم وهو القدوة لتلاميذه وطلابه يعلمهم بلسان حاله قبل مقاله ، فعندما يرونه قدوة في العبادة يحرصون جاهدين على محاكاته والسير على خطاه ، ولقد وصفه جلساؤه بصفات ترفع من قدره وتعلو منزلته . قال الضياء لم أر أحداً أحسن صلاة منه ولا أتم بخشوع وخضوع ،

قيل كان يسبح عشراً يتأنى فيها وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً كثير الابتهال والإخلاص لحربه وكان من دعائه رحمه الله اللهم اغفر لأقسانا قلباً وأكبرنا ذنباً وأثقلنا ظهراً وأعظمنا جرماً .

وكان يدعو ويقول يا دليل الحيارى دلنا على طريق الصادقين واجعلنا من عبادك الصالحين . وكان رحمه الله يتحرج من الفتيا ، لأنها مسؤولية عظيمة فكان إذا أفتى في مسألة يحترز فيها احترازاً كثيراً ، وكان يغير المنكر بيده ولسانه وقلبه رحمه الله .

يروى أنه أتي فساقاً فكسر ما معهم من آلات لهو فقاموا إليه فضربوه ضرباً شديداً حتى غشي عليه فعندما أخذهم الوالي وأراد ضربهم تشفع فيهم بشرط أن يتوبوا وأن يقلعوا عن الغفلة واللهو ويلازموا الصلاة ، فقال رحمه الله للوالي إن تابوا ولازموا الصلاة فلا تؤذهم وهم في حل فتابوا .. نعم إنه حريص على إزالة المنكر قد روض نفسه لتحمل ما يلقاه في ذلك ، والصبر على الإيذاء من صفات الدعاة إلى الله رحم الله عماد الدين المقدسي وجمعنا به وبسلفنا الصالح في مستقر رحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

٤٤- أبو حنيفة النعمان رحمه الله :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول المربي الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وربى خير أمة أخرجت للناس صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

الإمام أبو حنيفة واسمه النعمان بن ثابت الكوفي مولداً والفارسي أصلاً . ولد سنة ثمانين هجرية وتوفي سنة ١٥٠ في بغداد ودفن بها . كان في أول عهده يحترف تجارة الخز . وقد عرف فيها بصدق المعاملة والنفرة من الغش والمماكسة . ثم تحول إلى طلب العلم فنال حظاً من علم الكلام والحديث والفقه . إلا أن ميله كان إلى الفقه فانصرف إليه وأكثر الاختلاف إلى حلقات الفقه وملازمة أهله .

فالتربية الإسلامية تنادي بتكافؤ الفرص في التعلم فهو حق مشاع لجميع أفراد المجتمع يحضر حلقات العلم الغني والفقير والشريف والوضيع والعربي والعجمي والعامل والصانع والتاجر . فهذا تاجر من تجار المسلمين أصبح عالماً من علمائهم ومن المجتهدين الأفذاذ ومن أعلام التربية في الإسلام لازم كبار العلماء واستفاد من علمهم ونهل من معين التربية الإسلامية وكان أبرز شيوخه وأكثرهم أثراً في نهجه الفقهي شيخه حماد بن أبي سليمان والذي تلقى فقهه على علقة بن قيس النخعي والذي تتلمذ على عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه .

وقد كان أبو حنيفة ميالاً بفطرته إلى التغلغل في بواطن الأمور وعدم الاقتناع بالمعاني الظاهرة ومثل هذه الفطرة مستعدة للميل إلى الرأي والتوغل فيه . وأبو حنيفة رحمه الله لم يقتصر في تلقيه الفقه على حماد فقد روى عن غيره فمن هؤلاء الذين روى عنهم ودارسهم زيد بن علي زين العابدين ، وجعفر الصادق ، وعبد الله بن حسن . كما أنه كان يلتقي بالعلماء والفقهاء في مكة ويأخذ عنهم ويذاكرهم في أمور الفقه أثناء مكثه في مكة في مواسم الحج وعند إقامته فيها نحواً من ست سنوات يوم هاجر إليها في سنة ١٣٠هـ .

ولإكثاره من الرأي والقياس اتهمه البعض بعدم الاهتمام بالحديث أو بقلة بضاعته منه أو بتقديم الرأي والقياس عليه .. وهذه الاتهامات يعوزها الدليل ، فإن اهتمامه بالحديث أمر ثابت وظاهر من نص أقواله كما يشهد بذلك أخذه بالحديث المرسل وفتاوى الصحابة وتركه القياس إذا ثبت عنده حديث صحيح في المسألة .. وقد رويت عنه أحاديث وآثار كثيرة منها ما رواه أبو يوسف في كتابه الآثار وكذلك محمد بن الحسن في كتابه الآثار أيضاً وقد جمع العلماء من بعده مروياته فبلغت شيئاً كثيراً . نعم إن أبا حنيفة كان أقل رواية من غيره من الأئمة المكثرين لرواية الحديث لأنه كان يشترط شروطاً ثقيلة للتثبت من صحة الحديث نظراً لتفشي الكذب في العراق وكثرة الوضاعين .

أما تركه الحديث وتقديم القياس عليه فهذا مرده إلى أن الحديث لم يبلغه فذهب إلى الرأي ، أو أن الحديث بلغه ولم يثبت عنده فتركه وأخذ بالقياس .. أما طريقته في التدريس فقد كان يعرض على تلاميذه المسائل الفقهية وما يعرض عليه من قضايا فيدلي كل واحد برأيه حولها ، ويجري النقاش فيما بينهم حول ما أبدوه من الرأي ، فإذا انتهوا إلى رأي واحد أملاه عليهم أو دونه أحد التلاميذ ، وربما بقي الخلاف بين التلاميذ

وأستاذهم ويدون الرأي مع ذكر ما فيه من خلاف . فمذهب أبي حنيفة بدأ منذ نشأته على شكل مذهب جماعي يقوم على الشورى وتبادل الآراء ومناقشتها .. وهذه الطريقة هي الطريقة التي تسمى بالطريقة الحوارية وهي من الطرق التربوية الحديثة التي يحاور الأستاذ تلاميذه ويناقشهم في المواضيع والدروس . وقد أخذ سلفنا وعلماؤنا بخيري ما في هذه الطريقة وغيرها وقد جاء عن الإمام مالك أنه كان يملي على تلاميذه المسائل وأحكامها ولا ينهج معهم نهج أبي حنيفة . فلا يناقشونه ولا يجادلونه فيما يقول . ولكل شيخ طريقة كما يقال . فالإمام مالك رحمه اله كان يأخذ بطريقة الإلقاء وهي أيضاً من الطرق التربوية الحديثة . إلا أن طريقة أبي حنيفة قد كونت شخصيات تلاميذه العلمية حيث رباهم على التفكير والبحث ونمى فيهم ملكة الاجتهاد والاستنباط وهم في دور التلقي والتحصيل .

وهناك أصول للاستنباط عند أبي حنيفة دونها فقهاء المذهب الحنفي الذين جاءوا من بعده ومن بعد تلاميذه وهذا لا يدل على أن أبا حنيفة ما كان لديه مناهج للبحث والاجتهاد فإن عدم تدوين الشيء لا يدل على عدم وجوده ، كما أن الفقه يستلزم حتماً وجود مناهج وقواعد للاستنباط فلا فقه بلا مناهج وقواعد . وأبوا حنيفة فقيه قطعاً ، بل فقيه بمعنى الكلمة [والناس في الفقه عيال على أبي حنيفة] ، كما قال الشافعي رحمه الله . فلابد إذاً من قواعد يلتزم بها في اجتهاده وفقهه وأصول يسير بمقتضاها ولا يحيد عنها وهذا ما استخرجه فقهاء المذهب الحنفي من أقواله وآرائه المنقولة عنه . ومع هذا نقلت أقوال تدل على الخطوط العريضة في منهجه في الاستنباط والأدلة التي يستدل بها فمن ذلك أنه قال : [آخذ بكتاب الله إذا وجدت فيه الحكم وإلا فبسنة رسول اله صلى الله عليه وسلم ، فإن

لم أجد في كتابه الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول أصحابه ، آخذ بقول من شئت منهم وأدع من شئت ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم ، أما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين وعطاء وسعيد بن المسيب ، وهؤلاء مجتهدون من التابعين فإني أجتهد كما اجتهدوا] .

فالكتاب ثم السنة ثم أقوال الصحابة ثم الاجتهاد . هذه هي مصادر الأحكام عند أبي حنيفة والاجتهاد يدخل فيه القياس والاستحسان وقد برع فيهما وأجاد ، كما أنه كان يأخذ بالإجماع وبالعرف كما نقل عنه أيضاً . رحم الله أبا حنيفة ورحم الله روادنا في التربية وأجزل لهم المثوبة بما قدموا من خدمة للإسلام .

٤٥- أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله :-

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فمع علم من أعلام التربية الإسلامية وهو أبو إسحاق الشيرازي ، جاءت ترجمته في سير أعلام النبلاء لأنه الشيخ الإمام القدوة المجتهد شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي نزيل بغداد مولده في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وقدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة فلزم أبا الطيب فبرع وصار معيده وكان يضرب المثل بفصاحة وقوة مناظرته ..

أرأيتم كيف أن طلب العلم وتحصيله يحتاج إلى ملازمة عالم للاستفادة العلمية بطول الصحبة والصبر على الطلب والتحصيل، فهذا العالم من علمائنا كان يلازم أبا الطيب ويدرس على يده فبرع وعندما ظهرت عليه علامات النجابة والفصاحة وقوة المناظرة شرفه أن يكون معيداً لدرسه فوظيفة المعيد العلمية عرفها سلفنا فكان المعيد يمارس صلاحيات هذا المصلح عملياً .

ولقد برع الشيخ الشيرازي كما يقول السمعاني إمام الشافعية ومدرس النظامية وشيخ العصر رحل الناس إليه من البلاد وقصدوه وتفرد بالعلم الوافر مع السيرة الجميلة والسيرة المرضية جاءته الدنيا صاغرة فأباها . واقتصر على خشونة العيش أيام حياته صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب وكان زاهداً ورعاً متواضعاً ظريفاً كريماً جواداً طلق الوجه دائم البشر مليح المجاورة .

إن الرحلة في طلب العلم هي من أهم وسائل تحصيله فكان السلف رحمهم الله يرحلون من بلد إلى بلد ويتحملون مشاق السفر ووعثاء الطريق وغربة الرحلة في سبيل مقصد سام ألا وهو طلب العلم . فهذا أبو إسحاق الشيرازي يرحل الناس من البلاد ويقصدونه للتعلم على يديه وكان جديراً بهذه المكانة ، فقد تفرد بالعلم الوافر وكان مع ذلك يتحلى بالسيرة الحميدة والأخلاق الفاضلة والطريقة المرضية . وكان ورعاً رحمه الله زاهداً في الدنيا . فقد جاءته صاغرة منقادة وأباها ولم يرض بها لأنه قد عرف منزلتها وقدرها في ميزان الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم : " لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء " ، فقد اقتصر رحمه الله أيام حياته فيها على خشونة العيش فكان زاهداً ورعاً متواضعاً ترتاح القلوب إليه وتشتاق النفوس مجلسة وتستنير العقول بعلمه طلق الوجه دائم البشر مليح المحاورة جواداً وهذه الصفات أهلته لهذه المكانة العلمية والمنزلة التربوية العالية وكما أنه برع في مجال التربية والتعليم برع أيضاً في التصنيف والتأليف صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب . ومن ورعه رحمه الله أنه دخل مسجداً فنسي به ديناراً ثم ذكره بعد أن خرج فوجده فخاف أن يأخذه بحجة أن يكون سقط من غيره وليس هو دناره . قال السمعاني : دخل أبو إسحاق مسجداً ليتغدى فنسي ديناراً ثم ذكره فرجع فوجده ففكر وقال لعله وقع من غيري فتركه . ترى أخي المسلم كيف يكون الورع ؟ وكيف يكون الخوف من الله ؟ والمراقبة له ؟ فأي أخلاق هذه التي جعلت هؤلاء يتبوءون هذه المكانة وهذه المنزلة إنها أخلاق الإسلام وشيمه الرفيعة التي لو تمسكنا بها لكنا من أسعد الناس في الدنيا والآخرة ولقد كان أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله ينادي بأن يقترن العلم بالعمل ولقد عرف هو وغيره من علماء الأمة بأن السعادة الحقيقية في العلم النافع والعمل الصالح ، فمما يروى عنه أنه قال : العلم الذي لا

ينتفع به صاحبه أن يكون الرجل عالماً ولا يكون عاملاً . وإن من الأمور التي يثبت بها العلم العمل . فكان السلف يرحمهم الله يستعينون على تثبيت العلم بالعمل ، فالعلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر ولقد كان رحمه الله في أعلى درجات التسامح والعفو عن المذنبين . فمرة نزع عمامته ليتوضأ في نهر دجلة فجاء سارق فسرقها فترك عمامة رديئة في مكانها فطلع الشيخ فلبسها وما شهر بها حتى جلس في مجلس الدرس وكان يدرس فسأله بعض طلابه فقال : لقل الذي أخذها كان محتاجاً إليها .

مات رحمه الله سنة ست وسبعين وأربعمائة ولم يخلف درهماً ولا عليه درهم فيقول الذهبي : وكذا فليكن الزهد . وما تزوج فيما أعلم وبحسن نيته في العلم اشتهرت تصانيفه في الدنيا كالمذهب والتنبيه واللمع في أصول الفقه . فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة على ما قدم في مجال التربية والتعليم وعلى ما صنف وألف في مجال التربية الإسلامية وجمعنا الله به في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه والتابعين .

الباحث

د . حسن بن علي الحجاجي

من مدينة الطائف المأنوس

المملكة العربية السعودية

فهرس سلسلة التربية الإسلامية

١٢- من أعلام التربية

مقدمة : بقلم الدكتور حسن بن علي الحجاجي	٢
١- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٤
٢- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٩
٣- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	١٣
٤- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	١٧
٥- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٢١
٦- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٢٥
٧- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٢٩
٨- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٣٣
٩- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٣٦
١٠- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٤٠
١١- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٤٥
١٢- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٥٠
١٣- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٥٤
١٤- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٥٨
١٥- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٦٢
١٦- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٦٧
١٧- قدوة المربين وإمام الدعاة أجمعين	٧٠
١٨- أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٧٤
١٩- عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٧٨
٢٠- عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٨١
٢١- عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٨٥

٢٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٨٩
٢٣- خالد بن الوليد رضي الله عنه سيف مسلول من سيوف الله ٩٢
٢٤- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ٩٦
٢٥- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ١٠٠
٢٦- أبو هريرة رضي الله عنه ١٠٤
٢٧- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ١٠٨
٢٨- أبو الدرداء رضي الله عنه ١١٢
٢٩- عبدالله بن عباس رضي الله عنه ١١٦
٣٠- عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه ١٢٠
٣١- عمير بن وهب رضي الله عنه ١٢٤
٣٢- سعيد بن العاص رضي الله عنه ١٢٨
٣٣- سعيد بن العاص رضي الله عنه ١٣١
٣٤- سعيد بن العاص رضي الله عنه ١٣٦
٣٥- الطفيل بن عمرو الدوسي ١٤٠
٣٦- أبو خثعمة رضي الله عنه ١٤٣
٣٧- عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ١٤٧
٣٨- عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ١٥١
٣٩- أبو عبدالله البخاري ١٥٥
٤٠- أبو عبدالله البخاري ١٥٩
٤١- الإمام مالك بن أنس ١٦٢
٤٢- شريح بن الحارث الكندي ١٦٧
٤٣- عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي ١٧٢
٤٤- أبو حنيفة النعمان ١٧٥
٤٥- أبو إسحاق الشيرازي ١٧٩